

تلك هي فاطمة الزهراء

عليها السلام

إعداد

حمود عبدالله الأهنومي

المجلس الزيدي الإسلامي

صنعاء - ١٤٤٠هـ



قال الله تعالى:

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ»

الشورى: ٢٣

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة بَضعة مني،

فمن أغضبها فقد أغضبني»

تلك هي فاطمة الزهراء عليها السلام

إعداد

حمود عبدالله الأهنومي



صنعاء – ١٤٤٠هـ



الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد حسان الشامي



البريـد الإلكترونـي : **Hamoodalahnomi1 @gmail.com**

الموقع الإلكتروني : **www.zaidiah.com**

قنـــاة التلقـــرام : **https://t.me/zmagls**

الفيـــــــــــسبوك: **www.facebook.com/AlMaglisAlZZaidiAlEslami**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وارضَ اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

جعل الله أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرناء القرآن، يشرحون أحكامه، ويُعْلنون هديَه، وخلَّفهم رسولُ الله في أمته أمانا من الضلال، وعصمة من الانحلال، وإذا أرادت الأمة تصحيحَ مسارها يمَّمَت وِجهتها نحوهم لاتخاذهم قدوة حسنة، تصحِّح من خلالهم أخطاءها، وتَميزُ من هديهم ما يقيم أوَدَ مسارِها.

وما يمارسه عالَم اليوم المستكبِر من همجيةٍ رعناء ضد البشرية المستضعَفة، وما نراه من استطالة أنظمة الشر على المسلمين، بل وعلى ما بقي من خير في شعوب الإنسانية بالمسخ والانحراف والاضطهاد والاستغلال خارج سياق الفطرة فإنه يحتِّم على شعوبنا أن تعود لأصولها الأولى، ومصادرها الصحيحة، وقدواتها الإيمانية العالمية.

ولعل أكبرَ مثالٍ صارخٍ تتبختر فيه هذه الحضارة المادية قبحا وإجراما

ضد الإنسانية، هو هذا العدوان السعودي الأمريكي الصهيوني الجاهلي ضد شعبنا، والذي من ضمن ما يستهدفه بدرجة أساسية المرأة ، إما بالقتل المتعمَّد، والإبادة المقصودة، أو بالحرب الناعمة التي تحاول تجفيف قيمِ المرأة ومبادئها وأخلاقها وشيمها المحافِظة واستبدالها بقيمٍ وأخلاقٍ وشيمٍ مغايِرةٍ ومخالفةٍ للإسلام، لكي يسهُلَ لهم اقتيادُ المجتمعات واحتواؤُها وتغييرُ ما بقي من مقوماتٍ متينة فيها.

استخدم أعداءُ الأمة وأعداءُ شعبنا سلاحَ الحرب الناعمة من قبل أن يشنوا عدوانهم الوحشي الجبان على بلدنا، لغزو العقول والأدمغة، واحتوائها ضمن منظومات قيمية وأخلاقية تقتاد في نهاية المطاف الشعوبَ إلى البلاهة والاستحمار، وضياعِ الوِجهة الفاعلة والمنتِجة، وبهذا يستطيعون الاستمرار في مشاريعهم التمزيقية والتدميرية، ولما شنوا العدوانَ الخشِن كانت الحرب الناعمة جبهةَ عدوانٍ خطير أيضا، يركِّز في الأساس على تصديع الجبهة الداخلية، وإضعاف تماسك المجتمع في ملحمة الصمود الأسطورية التي سطرها شعبنا خلال عامين كاملين.

منذ وقت مبكر كانت المرأةُ المنفذَ الذي يحاولون منه الدخولَ إلى تنفيذِ أغراضِهم الدنيئة، مستغِلِّين ومشجِّعين حالة التجهيل التي فُرِضَتْ عليها من جهة، وحالة الانبهار بالغرب والتي أصيبت بها بعض النساء من جهة أخرى، واللائي وإن كن بعددٍ قليل لكن تأثيرَهن بقدر الإمكانات التي

تحرِص المنظمات المشبوهة على توفيرها فتعطيهن مساحة أوسع للتحرك السلبي في المجتمع.

في كلمته بمناسبة اليوم العالمي للمرأة المؤمنة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ قال السيد عبدالملك الحوثي: "اليوم تتعرض المرأة المسلمة للتأثير باستهدافها لأن تكون متأثرة بالمرأة الغربية التي تختلف معها إلى حدٍّ كبير في المبادئ وفي القيم وفي الأخلاق، المرأة الغربية التي كانت إلى حدٍّ كبير ضحية، ضحية لعمل كبير استهدفها بدءا، ثم أرادوا بها ومن خلالها أن تكون هي النموذج غير المنسجم وغير المتوافِق للمرأة المسلمة، نموذجٌ لا يتوافق لا مع دينها ولا مع أخلاقها ولا مع مبادئها ولا قيمها الإنسانية، نحن نقول: إن المرأة الغربية كانت ضحية، استُهْدِفت من قبل أولئك المجرمين، المفسدين في الأرض الذين سعوا إلى الانحراف بالمرأة عن دورها ومكانتها ومقامها وكرامتها، وعمِلوا على أن يجعلوا منها ألعوبة، وأرخصوها إلى حدٍّ كبير، حينما أرادوا أن يجعلوا منها مجرد ألعوبة للإغواء والإفساد ونشر الرذيلة والعياذ بالله".

وأضاف قائلا: "هناك استهداف للمرأة في الحالة القائمة في عالمنا الإسلامي، في منطقتنا العربية، في شعوب أمتنا، هناك استهدافٌ مؤكَّدٌ للمرأة وللرجل جميعا، والاستهداف للمرأة كذلك في فكرها في ثقافتها في قيمها في أخلاقها، .. تحت عنوان التحضر والحضارة والرقي، وهي

عناوين زائفة؛ لأن إفساد المرأة المسلمة لا يمت بأي صلة للحضارة، لا يمت بأي صلة للحضارة أبدا".

لقد فضح هذا العدوان كلَّ الادعاءات الغربية وكشف بشكل لا مرية فيه حجم النفاق الغربي تجاه المرأة، التي ظلوا يحكون عن حقوقها، ويتغنون بحريتها، ولكنهم اليوم وعلى مدار عامين يشنون حربا عدوانية عالمية تستهدفها بالدرجة الأولى، إذ هم من يقود العدوان ويزوِّده بالطائرات الحديثة، وبالأسلحة المحرمة، وبالدعم السياسي والغطاء الأممي، وهم يعلمون أن أول الضحايا في هذا البلد هي المرأة، ومع ذلك وبينما يتحدثون بصخب عن حقوقها الجنسية، يسلبونها حقها الوجودي، الذي استهدفته طائراتهم.

هذا ما عبَّر عنه السيد القائد في رسالته للمرأة بمناسبة مولد الزهراء، اليوم العالمي للمرأة المسلمة في العام الماضي؛ إذ اعتبر هذا العدوان: "شاهداً أيضاً على زيف وخِداع الغرب فيما يحكيه ويدّعيه عن حقوق المرأة وحقوق الطفل، ففي مقابل البترودولار لم يعُدِ الغربُ يحكي عن مظلومية المرأة اليمنية التي هي اليوم أكبر مظلومية على وجه الأرض، بل إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا ودولاً أخرى هي التي تقدِّم للنظام السعودي سلاح الفتك والتدمير بما في ذلك الأسلحة المحرمة دولياً، مثل القنابل العنقودية وغيرها؛ ليقتل بها أهل اليمن نساءً وأطفالاً ورجالاً بأبشع صور

الإجرام وحشية.

وفي هذا درسٌ مهمٌ لبعضِ الأخواتِ اللواتي ينظرْنَ بإيجابية إلى نشاطِ بعضِ المنظَّمات أو الدول الغربية؛ إن الوقائعَ والأحداثَ تكشِف الحقائقَ بما يفوق كلَّ المحاولات الرامية للتزييف والخداع؛ وبئس ما يفعله الأعداء الضالون".

إزاء ذلك ولدورِ المرأة العظيم في مسيرة الفطرة الراشدة، وبناء المجتمعات القوية والملتزِمة، التي تنطلق من مفاهيم القرآن الكريم الذي عرَضَ نماذج للكمال البشري الأنثوي من خلال عدد من النساء، فإن من المهم أن تتعرف المرأة في كل زمان ومكان على سيدة نساء العالم، والتي هي سيدة نساء هذه الأمة، والتي هي أيضا سيدة نساء أهل الجنة؛ والتي حرِص المعتدون الغربيون وأدواتُهم من الأنظمة العميلة والمنساقة مع مشاريع الغرب أن يحرِموا الشعوب من التطلع إلى الكمالات البشرية من خلال هذه القدوات القرآنية الرائدة.

دوافع تأليف هذا البحث:

حفزتني عددٌ من العوامل لجمعِ وإعدادِ هذا البحث بهذه الصورة الأولية، ومنها:

- التلبية لحاجة المجتمع اليمني، وقد جوبِهنا في لجنة الثقافة بالمجلس الزيدي الإسلامي مرات كثيرة بضرورة توفير كتيبٍ يترجم للزهراء

لمن يريد التعرف عليها من أخواتنا وبناتنا لا سيما أولئك العاملات والنشِطات في العمل الحركي الجهادي، فصار هذا جزءا من خطة المجلس وأنشطته.

- التعريف بفاطمة الزهراء المظلومة قديما وحديثا والمغيَّبة عن واقع القدوة والأسوة، وتوجيه المرأة اليوم إلى الاتجاه نحو سيدة نساء العالمين لاتخاذها قدوة حسنة بدلا عن البدائل التي تروِّج لها الحضارة المادية، تلك البدائل المتَّسخة والمشوَّهة والمنحرِفة التي رسَّختها وسائلُ الإعلام من خلال النجومية الزائفة للمغنيات والماجنات والساقطات.
- معالجة بعض الإشكالات الثقافية والأخلاقية والروحية والاجتماعية لا سيما تلك التي تتطلَّبها المرحلةُ الراهنة من خلال الإشارة إلى أهم الدروس والعبر التي يمكننا استفادتُها من حياة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.
- شكرًا لله أن رزقني أول بنت، وهي (أريج الزهراء) بارك الله فيها، بعد طول رجاءٍ لله وانتظار لكرمه.

أهمية البحث:

- ليس هذا البحث الأول ولا الأخير، ولكنه رغم طبعته هذه، يحاوِل تقديم قراءة أولية لفاطمة الزهراء وحياتِها المتنوِّعة من خلال ما تيسّر من مرويات أهل البيت الصحيحة والمروية في كتبِهم المعتمدة.

- يحاول البحث الخروج من الطرق التقليدية للكتابة بالالتزام بمنهجية البحث التاريخي، أملا في تقديمِ العظة والعبرة والقدوة في الدرجة الأولى.
- يحاول التركيزَ على الجوانب الهامة والمطلوبة في شخصية وحياة الزهراء بما تتطلَّبه المرحلة الراهنة اليوم.

اتبع البحث منهج البحث التاريخي، في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها ونقدها واستخلاصِ ما يقارِب الحقيقة والمنطِقَ منها، مقدِّما المصادرَ والروايات المعتمدة عند أهل البيت، ثم مَن سواهم، ومع ذلك فإنه ينبغي التنبيه إلى أن الكتيب في هذه الطبعة ليس سوى قراءة مقارِبة لجزء ضئيل من حياة الزهراء، على أملِ فحص موضوعاته مرة أخرى، واستكمالِ بعض الموضوعات التي لم يتطرَّق لها البحث، وأما الزهراء فهي سيرة حافلة وعطرة لا يستوعب شأنَها المجلدات الكبيرة.

أخيرًا أشكر كل من ساهم بملاحظةٍ أو اقتراح، وأخص بالشكر المجلس الزيدي الإسلامي، والسيد العلامة محمد عبدالله الهادي الذي تجشّم عناء المراجعة والتصحيح للطبعة الأولى.

واللهَ أسأل أن ينفعَنا وأمهاتنا وأخواتنا وبناتنا بما كتبتُ عن الزهراء، وأن يجعل ذلك من (المودة في القربى)، تلك الفريضة التي هي أجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على نعمة الإسلام.

حمود عبدالله الأهنومي

صنعاء – ٢٧ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

لماذا غُيِّبت الزهراء؟

إذا كان الأستاذ العقاد يقول في كتابه فاطمة الزهراء والفاطميون: "في كلِّ دين صورة للأنوثة الكاملة المقدَّسة، يتخشَّع بتقديسها المؤمنون، كأنها هي آية الله فيما خلق من ذكرٍ وأنثى، فإذا تقدَّست في المسيحية صورةُ مريم العذراء، ففي الإسلام لا جَرَم تتقدّس صورة فاطمة البتول"، فلا أجد ما يسوّغ أو يبرِّر لواضعي الاستراتيجية التربوية في اليمن تغييبَ فاطمة الزهراء عن المناهج التربوية في التعليم الأساسي والثانوي والجامعي طوال عقود ماضية غير الخضوع والانسياق لما تمليه الرغبات الخارجية التي ترى في نموذج الطهارة والعفة خطرا يوجب إخراجَه من مناهجنا.

بصراحة لا أستطيع أن أفهمَ أنه لا يوجَد درسٌ واحد في دروس التاريخ ولا التربية الإسلامية ولا العربية ولا الوطنية والاجتماعيات في مناهج المدارس التربوية؟! إلا بأنه بسبب استلاب القرار التربوي والسياسي بل والسيادي للبلد من قبل أنظمةٍ تدين بالولاء لليهود والنصارى المعتدين وأوليائهم المنافقين.

لقد تم التغييبُ المُمَنْهَج والمتعمَّد لنموذج فاطمة الزهراء، وكان هذا أحدَ تطبيقات استراتيجية التجهيل لشعبنا ونسائنا، غيَّبوها في المناهج، وغيّبوها في المؤلفات، وفي الصحافة، وفي الحلقات، وفي خطب الجمعة، والمناسبات، ليس

هذا في اليمن فقط، بل في مختلف الشعوب الإسلامية والعربية.

والخطورة أنهم غيَّبوها عن نصف مجتمعنا والذي يتحكم في النصف الآخر تربية واتجاها، غيَّبوها وهي سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، ولا أدري ماذا سيكون حال هؤلاء النسوة وهن لا يعلمن عن سيدتهن إلا ما بقي من قصص وأمثال وعبارات ورِثْنها عن الأمهات والجدات مما شذ وندر وضمن دوائر اجتماعية ضيقة.

إلى أين ستتجه هذه المرأة التي غرسوا فيها مثل الرجل حب المال والجاه والشهوات أولا وقبل كل شيء، وقد صوروا لها النجاح في تحصيل الأموال وإحراز الوظائف ولو على حساب وظيفتها الأساسية، وأقنعوها أن مشاركتها للرجل هي أن تكون ذات وجه جميل وصوت رخيم تزاحم الرجل في المكاتب والمقرات، وتضفي على جوها طابع الرومانسية واللطافة، وغير ذلك من الأعمال غير المنتِجة ولا المفيدة، بينما أوهموها أن التخلُّف هو ما كانت تقوم به من مشاركة زوجها المشاركة المنتجة في فلاحة الأرض، وتنمية المواشي، وغير ذلك مما يعود بالفائدة على الأسرة والمجتمع كما تحدَّث عن ذلك الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه في ملزمة (لتحذُن حذوَ بني إسرائيل).

للأسف غيَّبوها وهي التي أحضرها القرآن الكريم، وكرِهوا وجودَها وهي التي كان يشتاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى محضرِها ورائحتها، غيَّبوها نموذجا

ومثالا فحضرت أمثلة الانحراف، ونماذج الاتّساخ، غيَّبوها علما ومعرفة وشجاعة وجهادا لتكون المرأة هي المفتونة بإبراز محاسنها لذئاب البشر، ولصوص الشرف، غيَّبوا كمالاتها الفطرية والإنسانية لتكون المرأة الصالحة هي امرأة ليلة الجمعة، على حدِّ وصف الدكتور شريعتي، والتي لا تعني شيئا للرجل إلا في تلك الليلة، بينما تقضي بقية وقتها الطويل في القيل والقال، وزراعة النمائم وحصد الشقاق والطلاق في المجتمع.

غيَّبوها عن الواقع الحضاري الأصيل لتحضُر أنواعٌ مختلفة من النساء، أكثرها رواجا تلك المرأة المسلَّعة جنسيا بغرض الربح المادي، وتهييج السعار الحيواني، وإفساد الحياة الاجتماعية للشعوب المسلمة، والزج بها في أسواق الرذيلة والتفسخ الاجتماعي.

وتتحمَّل مجتمعاتنا الإسلامية بما فيها النخب الدينية جزءا من هذه المسؤولية التقصيرية حيث خلطت فهما إسلاميا بآخَرَ من العادات والتقاليد، وجعلوا كل ذلك دينا يدينون الله به، فحُرِمَت المرأة من حق التعليم، حتى إذا أوجدوا هوة واسعة بين جيلها القديم والمعاصِر وصل المجرمون المنحرِفون إلى بعض النسوة لاستغلال ردة فعلها المندفِعة والدفع بها في الاتجاه السلبي وبما يخدم أعداء الإسلام.

وكانت نتيجة ذلك الإفراط والتفريط أن تَقَزَّم دورُ المرأة في شراكتها مع الرجل في صنعِ وخلقِ الحياة الجادَّة، ومظاهرِها الواعية والملتزِمة،

وانخفض سقف طموحات البعض منهن إلى مستوى سحيق، أو شطحت طموحات البعض الآخر، وانحرفت إلى مساراتٍ مغايرة للفطرة الإنسانية وتعاليم الدين الحق؛ الأمر الذي انعكس سلبا على أداء المجتمع لوظائفه التي ينبغي أن يقوم بها.

لهذا لا مناص من العودة إلى الأصالة الإسلامية لمواجهة التحديات الراهنة بوعيٍ وبصيرةٍ، وإدراك لطبيعة الصراع والتفاعلات الحضارية.

مكة وبنو هاشم

تنتمي الزهراء لمكة مكاناً، وبني هاشم عائلة، وهي البلدة التي ذكرها القرآن الكريم، وسماها (بكة)، و (أم القرى)، و (البلد الأمين)، والتي كانت شعابا في وادٍ غير ذي زرع، لكنها ببركة البيت العتيق الذي وضعه الله للناس محجة وقِبلة استجاب الله لدعاءِ نبيِّه إبراهيم عليه السلام لذريته بأن جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ورزَقَهم فيها من الثمرات.

عشية ظهور الإسلام "كانت مكة مركزا مهما في الحجاز، ذا قدسية خاصة، وذا مكانة كبيرة في عالم المال والتجارة، تتحكم فيها مظاهر الجاهلية من التفاخر بالأنساب والأحساب والمال والجاه، وتسيطر عليها نزعة استبداد القوي بالضعيف، وسيطرة الغني على الفقير"[١].

جغرافية مكة القاسية والقليلة الجدوى في المجال الزراعي، ألقت بظلالها على طباع أهلها وطبيعة تحركهم ونشاطهم الاقتصادي، فهم قساة أشداء، امتهنوا التجارة، واستغلُّوا وجودَ بيت الله الحرام، والأثر الروحي لجيرتهم له؛ لينتزِعوا إيلافا (أمانا) من قبائلِ العرب، بموجَبه كانوا يتحرَّكون آمنين بتجاراتهم العابرة للأقطار، لا مِريةَ أن فتحت هذه الأسفارُ آفاقا واسعة أمامهم، وأكسبتْهُم مهاراتٍ وحنكة اجتماعية وإدارية متميزة.

(١) جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص٩١.

نشأت طبقية اقتصادية غير حادَّة في مجتمع مكة، وكان الغِنى أهمّ مظاهر الشرف في وعي أهلها، غير أنه بقي توازُنٌ اجتماعي بين الأسر المكية مكَّن من تقاسم السلطات الروحية والاقتصادية والاعتبارية بينها، ورغم شبه الاستقرار الاقتصادي إلا أن قرار الحكم فيها لم يكن مركزيا بل كان شبه توافقي وعَبْر نفوذ الأشراف من رؤساء قبائل قريش.

ساهمت المرأة في الحياة الاقتصادية في مكة رغم احتقارها من قبل الذكور كما هو شأن العرب الجاهليين، لكنها استطاعت في مكة أن تجِد لنفسها مكانا ما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وخير مثال على ذلك ما كانت عليه خديجة بنت خويلد ونشاطها التجاري الرائد، ومع ذلك فهناك روايات تفيد أن قريشًا مضت فيما مضى فيه الجاهليون من وأد البنات، وقتل الأولاد، ولعل ذلك كان يحدث في الأسر والعوائل الفقيرة.

إن مدينة مثل مكة مقدسةً وعاصمة للثقافة الدينية والحياة الروحية للعرب، ونشاطُ أهلها هو التجارة العابرة للأقاليم المختلفة ذات الثقافات المتعددة، لابد أن ذلك جعل من أهلها ذوي معارف وقدرات ومهارات مختلفة.

كان بنو هاشم أهمَّ أسرةٍ قرشية في مكة عند ظهور الإسلام، ورغم أن سلطتهم الروحية عوَّضتهم عما فاتهم من شرف المال، إلا أن هذا لا ينفي وجودَ سلطة لأسر أخرى كانت تنافسُهم، وتُمسِك بعضَ حبال السلطة التوافقية إن صح التعبير، مثل بني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني عبد شمس، ومنهم بنو أمية، وغيرهم.

أمها خديجة

اختار الله أن يكون والدُ فاطمة الزهراء هو خير الخلق طُرا، وسيد ولد آدم جميعا، ولا أبوة في الدنيا تساوي أبوتها، ولا شرفَ يداني شرفها، وهذا أمر لا تفي بمقامه العبارات ولا المجلدات.

أما أمُّها فهي خديجة بنتُ خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من عقيلات قريش المبرِّزات، وأعظمهن شرفا، دُعِيَت في الجاهلية بالطاهرة لشرفها وعفتها، واستطاعت مع قرشيات أخريات اختراقَ حالة الجاهليين الفكرية المحتقِرة للمرأة، فصار لهن نشاط تجاري عابر للحدود الإقليمية.

كان جدُّها أسد بن عبد العزّىٰ أحدَ أعضاء حلف الفضول، الذي تعاقدت بموجبه قبائلُ وشخصياتٌ من قريش علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ نصروه، وكانوا علىٰ مَنْ ظلمه عَوْنًا حتىٰ تُرَدَّ مظلمتُه، وكان حِلفا يُعبرِّ عن ضميرٍ إنسانيٍّ استيقظ لفطرة حب العدالة وكراهة الظلم، وهو الحلف الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أُدعىٰ به في الإسلام لأَجَبْتُ".

وكان ابن عمّها ورقة بن نوفل بن أسد أحدَ الذين تنسَّكوا واعتزلوا عبادة الأوثان، وهجروا قومهم فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام [(١)].

شاء الله أن تتعرَّف خديجةُ على أمانةِ وصدقِ ونُبل الفتى الهاشمي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لترغبَ في الزواج منه، ووجدت سبيلا إلى مخاطبته بطريقة غير مباشرة، فتزوَّجها، ولما بُعِث صلى الله عليه وآله وسلم كانت هي أولَ امرأة آمنت بدعوته، وصلَّت معه هي وعلي عليهما السلام سبع سنين لا يوجد لهم رابع، وبذلت أموالها في نصرته، وكانت نعم العونُ والسَّنَدُ له.

أكرمها الله بأن جعل من نسلها فاطمة الزهراء، التي حفِظ الله في نسلها ذرية الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فهي جدة آل البيت الكبرى، وأمهم الأولى، ونالت بذلك شرفا عظيمًا، ومجدا فخيما، وأعظِم بذلك من مجد.

توفيت عليها السلام في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من حصار الشِّعب، أي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وذلك بعد أن عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوالي رُبْعِ قرنٍ كانت له فيها الزوجةَ الحبيبة، والسندَ القوي، والظهيرَ الرائع.

لم ينْسَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذكرَها بعد أن ماتت، ولكثرة ذكره لها والثناء عليها استثيرت غيرةُ عائشة، فقالت له يوما: هل كانت إلاّ عجوزاً قد

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص٢٣٧.

أبـدلك الله خـيراً منهـا، فغـضب، وقـال: "لا والله مـا أبـدلني خـيراً منهـا، آمَنَتْ بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ حرَمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً دون غيرها من النساء"[1].

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٢٤.

ولادتها

ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى قتل بعض الجاهليين أولادَهم خشية الإملاق وخوف الفقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب، وفيهم نزلت الآيات: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾[الإسراء:٣١]، ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[الأنعام:١٤٠]، ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾[الأنعام:١٥١]. وظاهر لفظ الآيات النهي عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكورًا كانوا أو إناثًا وأن جريمة القتل كانت تحدث لأسباب اقتصادية مخافة الفقر والفاقة، إلا أن آية ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾[النحل:٥٨، ٥٩] تدل على أن الجريمة كانت أيضا بدافع اجتماعي، وبسبب كون المولود أنثى، حيث كان والد البنت مدفوعا لاتخاذ ذلك الموقف بضغط وعيه المنحَرِف وبضغط المجتمع وثقافته الجاهلية؛ ولهذا العار الذي يشعر به ﴿**يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ**﴾، ويخيِّر نفسه لذلك بين أمرين، ﴿**أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ**﴾ يطاله من المجتمع، ﴿**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾.

لم تكن مكة بمعزِل عن ظاهرة الوأد، ويقال: إن بمكة جبلا يقال له "أبو دلامة" كانت قريش تئد فيه البنات[1].

وُلِدَت فاطمة الزهراء بعد إخوةٍ وأخوات سبقوها، وجاءت هي الأخيرة أنثى أيضًا، في مجتمعٍ كان ينظُر إلى الأنثى كما تقدَّم باعتبارها عارًا وهُوْنا، وكانت إشراقة الزهراء متزامِنةً مع إشراقةِ فجرِ الإسلامِ الذي جاء ثورة تغيِّر كثيرا من هذه المفاهيم والتصوُّرات الخاطئة، وكان يهدِف فيما يهدِف إليه إلى تغيير نظرة المجتمع بطريقةٍ فعليةٍ ملموسةٍ، تُثبِتُ الحقيقةَ وتنوِّرُ البصيرةَ، وكانت الزهراء أداة مغيِّرة من أدوات الحكمة الإلهية لذلك الواقع المرير، ليس في كونها أنثى يحتفي بها والدُها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل أيضا في تسييدها على نساء الأمة، ونساء العالمين، ونساء الجنة، ثم بعظيمِ دورِها الذي أنجزَتْه في حياة والدها وبعد وفاته.

تختلف المصادر في تحديد عام ولادتها؛ فهناك من يقول: إنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، وهناك من يقول: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وهناك من يروي أنها ولدت في عام البعثة، ويُشكِل على أصحاب القول الأول أنهم يثبِتون أنها تزوَّجت في السنة الثانية للهجرة وسنُّها تسع سنوات، وأنجبت ولدَها الحسن عليه السلام وسنُّها عشر سنوات، وهذا يستبعد حصوله، لا سيما وهناك روايات عن أهل البيت عليهم السلام تبين أن سنَّها كان عند الزواج ما بين ١٥ سنة، و١٨ سنة، ففي رواية عن الإمام القاسم بن

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، ص٩٤، ٩٥.

إبراهيم أن عمرها عند الزواج كان أربعَ عشرة سنة[1]، لكنه أيضا يُحْمَل على سن خطبتها، وليس البناء بها، وأن البناء لم يتم إلا وهي في خمس عشرة سنة، ويرجِّح ذلك أنه تم في روايةٍ تحديدُ عمر زفافها تحديدا دقيقا، وهي خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، ونصف[2]، وإذا كانت قد توفِّيَتْ وعمرُها ثلاثٌ وعشرون سنة بحسب رواية الباقر عليه السلام [3] وأن الإمام عليا عليه السلام بنى بها في السنة الثانية من الهجرة فهذا يعني أن عمرها عند الزواج كان خمس عشرة سنة وخمسة أشهر تقريبا كما ذُكِرَ في تلك الرواية المفصَّلة، وعلى هذا فالذي يترجّح أنها وُلِدت في عام البعثة، أو بعده بقليل على أقل تقدير.

وبهذا يتبين أن نور فاطمة عليها السلام أشرق على الحياة يوم أشرق الإسلام؛ ليدفِن الإسلامُ كلَّ مآثر الجاهلية، ويحيي القيم والأخلاق والتعاملات الفاضلة، ويئِدَ ذلك الموقفَ البشِعَ والمنحرِفَ من المرأة، ولكأن الإسلام برسوله يريد تغيير هذه النظرة المنحرِفة بالمقال وبالفعال، وبالوجدان والسلوك.

رزق الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أولادا ذكورا وإناثا، وشاء الله أن يموت الذكور صغارا، وتبقى البنات التي يزعم الجاهليون أن وجودَهن أسوأُ من عدمهن، فسماه القرشيون (أبتر) بسبب هؤلاء البنات، لكن الله أراد أن يقول لهم: إن هذه

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٨.
(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٨؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٢٠.
(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٩.

البنت التي بسببها وموت إخوتها الذكور سمَّيتم الأب (أبتر)، فإنه لا بد أن يرزقه الله ويعطيه (الكوثر).

اختصت الزهراء في حال ولادتها بخصوصية إرضاع أمها خديجة لها، وبرعاية رسول الله لها رعاية خاصة وإعدادها إعدادا خاصا، ثم إناطتها بأعمالٍ وأدوارٍ استثنائية كما سيتبين ذلك.

نشأتها

قدِمَت فاطمة إلى هذه الدنيا مع قدوم الإسلام، وكان العاص بن وائل السهمي قد عيَّر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أبتر؛ وها هو قد رزقه الله مولودًا آخر؛ لكنه أنثى، والأنثى مما تغيظُ الجاهليين، فبشّره الله وأعطاه الكوثر، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، والكوثر يشمل مصاديقَ عديدة، وعلى رأسها ذريته المباركة الطيبة التي ملأت الآفاق.

ورد من معاني الكوثر كما سيأتي: الذرية الكثيرة؛ وبالتالي فالزهراء هي مبدأ الكوثر، أو رمزه، أو سببه الذي أُعْطِيَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعني الكوثر أيضا الخير والبركة، والكثرة والامتلاء وكثرة الذرية[1]؛ وبهذا جعلها الله محل البركة، وعنوان العطاء، ومصدر الذرية المباركة، وأم الأبرار الهداة الأعلام.

كانت خديجة أم المؤمنين إذا وَلَدَت ولدا دفعَتْه إلى من يُرْضِعُه، فلما ولَدَت فاطمة لم تُرْضِعْها امرأةٌ غيرُها[2]، ولعل الله أراد إكرامها بذلك أولا، ثم أيضا للخوف عليها من غائلة أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخديجة تعلم أن دعوة زوجها إلى الإسلام ستسبِّب لهم المتاعب، وتثير عليهم

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة ص١٣٦.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٨٩٣.

العداوات؛ ولهذا من الأفضل أن تكون وليدتُها الجديدة في مأمنٍ من غائلة تلك الاحتمالات.

نشأت فاطمة في حِجر أمها، تُرْضِعُها من أخلافها، وتفيض عليها من حنانها، وفي رضاعة الأم ما فيها من أثرٍ جميلٍ، وعائدةٍ حسنة، على صحة هذه الوليدة المباركة، كما هو معروف في علم الطب اليوم.

نشأت سلام الله عليها على يد أمها خديجة، وأبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في وقت كان الإسلام أيضا ينشأ ويظهر وينمو على يد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وبمساعدة مالِ أمها خديجة وعونها؛ ولكأن الإسلام والزهراء صنوان جاءا إلى الدنيا على ميعاد.

ترعرعت في كنَف أبوين طاهرين، تحفُّها تعاليم جبريل، وهو روَّاح بها غدَّاء إلى والدها، في بيتٍ طالما ملأتْ أجواءَه نسماتُ الوحي، وآياتُ التنزيل، نشأت وأبوها يعوِّذها وذريتَها من الشيطان الرجيم، وكان ذلك دأبَ المرسلين والأولياء المخلصين، ثم هو المصطفى الذي كان يعوِّذ ولديها الحسن والحسين، ويقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، ويقول: (إن إبراهيم عليه السلام كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام)[1].

نشأت في بيتٍ ينطلق في أمرٍ جلل، ويسعى لإحداث تغييرات كبرى

(١) الحوثي، المختار، ص٦٧٦، نقلا عن تفسير البرهان، للإمام الناصر أبي الفتح الديلمي؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص١٤٨؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥١١.

في ذلك العالم، وضمن آثارٍ وردودِ أفعالٍ مؤلمة وقاسية، ورغم صعوبة مواقف أهل هذا البيت وعِظَم مسؤوليتهم؛ إلا أنها نعِمت بحنانِ قلبَي أبوين كبيرين، ومربيين عظيمين، وهل هناك أعظم من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مربيا، وهل يشابه حنانُ أبٍ على ولدٍ حنانَه على الزهراء، المرأة الاستثنائية التي هي كوثره صلى الله عليه وآله وسلم، وأم أعلام الهدى من ذريته، حنانٌ يعلِّم الوقارَ، ويبني النفوس، ويغذِّي العقول، ويُعِدُّها لأدوارٍ عظيمةٍ لا يقوى عليها في الإسلام إلا أهلُ هذا البيت.

"لقد نشأت نشأةَ جِدٍّ واعتكاف، نشأةَ وقارٍ واكتفاء، وعلمت مع السنين أنها سلسلةُ شرفٍ لا منازِع فيه من واحدة من بنات حواء فيمن تراه"(١)، نشأت في بيتٍ ربَّتُه تاجرةٌ ذكيةٌ وعاقلة حصيفة، لها علاقاتها الواسعة، وأموالها الطائلة، ورئيس هذا البيت قد كُلِّف بمهمة عظيمة جليلة ومقدسة، أن يُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور، ويتردَّد على هذا البيت أصدقاءُ وصديقاتُ العائلة ومن تربطهم به علاقات التجارة والدعوة.

تَفَتَّحت عين فاطمة مع تفتُّح عين الإسلام، لتجد هؤلاء تحت ظلال هذا البيت الطاهر، الذي بدأ لتوه التبشيرَ بالدين الحق، الدينِ الذي من شأنه أن يُثير حنَق الظالمين والمستكبرين وكبراء القوم في مكة وجُلِّ العالم.

تعلَّمتِ الزهراء في هذا البيت وفي هذه البيئة تعليمَها الأولي، كالقراءة والكتابة، والحساب، والمعارف الأولية، فمن أمها التاجرة تتعلَّم الحساب،

---

(١) العقاد، فاطمة والفاطميون، ص١٧.

ورياضة الأذهان، ومن عليٍّ عليه السلام -الذي كان نزيلا على هذا البيت أغلبَ سني عمره الأولى- تتعلم القراءة والكتابة، ومن الرسول تعلَّمتِ السمْتَ والهدْيَ والدل[1].

تعلّمت الزهراء في دار أبويها ما لم تتعلَّمْه طفلة غيرها في مكة، آيات من القرآن، وعادات يأباها مَنْ حولهم، "سمعت القرآن الكريم من أبيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسمعته من باب مدينة علم المصطفى علي عليه السلام، وصلَّت به، ووعت أحكام فرائضه".

ها هي الآن تكبُرُ وترى أهل هذا البيت وهم يتحدثون في أمر جلل، وكيف يواجهه كبراء القرشيين المستهزئين، وهي تراهم (أباها وأمها وابن عم أبيها علياً) يصلون (سبع سنين) لا يراهم أحد إلا هي، وهي التي نمَت على أصداء الوحي، وتنفَّسَتْ نسائمَ الهدايةِ الأولى، ونالت بركات حضور جبريل عليه السلام صباحَ مساء.

ولا أستبعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزلت عليه آياتٌ تأمر بالقراءة وتحث على العلم، أنه قد دفعها إلى معلِّمات أخريات، فهناك رواية تقول بأنه جعلها عند أم هانئ بنت أبي طالب، لرعايتها والقيام بشأنها[2]، وتقول أم سلمة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوَّض أمْرَ ابنته الزهراء إليها، فكانت تؤدِّبها، وتدلها، فقالت:

(١) سيأتي أنها كانت أشبه الناس بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم في الهدي والسمت والدل.
(٢) السيوطي، مسند فاطمة عليها السلام، ص١١٩، ومع أن الرواية ذكرت أن ذلك كان بعد وفاة خديجة لكننا نستبعد التوقيت؛ كون فاطمة في ذلك الوقت قد أصبحت في سن العاشرة تقريبا، وهو سن يكون فيه الطفل أقوم برعاية نفسه.

"وكانت والله آدَبَ مني، وأعرفَ مني بالأشياء كلها"[1] . وكلمة الأدب تعني التعليم الأولي، الذي تدل عليه صراحه كلمة "أعرف مني".

ثم وهل هناك معلِّم يفوق معلم البشرية جمعاء تربية وتعليما، فما ظننا بفتاة تربَّت وترعرعت على يد أعظمِ معلمٍ للبشرية؛ لا غروَ أنها بلغت مبلغا عظيما في ذلك.

سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة، وبنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم، وزوج علي عليه السلام باب مدينة العلم، لا يجوز أن تكون إلا متعلِّمة ثم عالمة، ووصف السيدة عائشة لها بأنها كانت أكثر الناس شبها برسول الله في هديِه وسمْتِه ودَلِّه كما سيأتي، يشير إلى المرتبة العالية التي وصلت إليها الزهراء في جانب المعرفة بالهدي الإلهي.

إن صفات فاطمة وأخلاقها وقيمها ومبادئها ومواقفها العظيمة التي اتخذتها بعظمةِ نفسٍ ورجاحةِ عقلٍ وقوةِ موقفٍ - تشير إلى نوعِ المعارف القرآنية، والأحكام النبوية، والإعدادات التربوية والنفسية التي تلقتها الزهراء على يد أعظم أساتذة العالم على مر التاريخ قاطبة.

---

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص٨١، رقم٢١، ورغم أن الرواية تحدد التوقيت بأن ذلك حدث في المدينة عند زواج أم سلمة برسول الله، غير أن فاطمة وقد أصبحت يافعة لا ينسجم حالها وتعليم الآداب والمعارف الأولى، ولعل ذلك حدث في مكة عند صغر فاطمة، فالتبس على الرواة التوقيت فقط.

صِدْقُها وشجاعتُها، وقوة نفسها، وزهدها، وأدبها، ومعرفتها للأشياء كلها، وحبها للعمل، إلى درجة أنها كانت (تدق الدرمك[1] بين يديها حتى مجلت يداها)[2]، بل نوع تربيتها وطريقة حياتها ومعيشتها على النحو الذي كان عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى استثنائيتها نشأة وتعليما وعلما وسلوكا ووجدانا وجهادا.

إنها نموذج المرأة في الإسلام وفي الإنسانية، وكيف يجب أن تكون؛ ولهذا كانت في كل شيء مثارَ إعجابِ زوجة أبيها عائشة، وكذلك مثار إعجاب زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأخريات، ولِمَ لا تكونُ بنتُ اليوم نشأة وتعلما ووجدانا كما كانت فاطمة تلك البنت الصغيرة؟!.

---

(١) هو الدقيق.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٥٥. ومجلت يداها: أي نَفِطَتْ وتأثرت من العمل، فمرنت وصَلُبت.

جهادها صغيرة

في غضون ذلك عاشت الزهراء ظروفَ الإسلامِ الأولى في مكة، ورأت أباها كلَّ يومٍ يحمل على عاتقه مسؤولية تبليغ الإسلام بإصرار عجيب، وتعلمت منه قُوَّتَه في ذلك، وإصرارَه وأنسَه بالله، واستشعرت معية الله له، وذاقت معه طعمَ الألم في سبيل الله، ومسَّت خشونة الحياة في مرضاته، بقدر ما تغلغلت في أعماقها لذة الطاعة لله، والانشراح مع السعي في ذات الله.

"كم مرةٍ شاهدَتْه صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث في الناس كأبٍ رؤوفٍ رحيمٍ يدعوهم برقة وعطف، وهم يُبْعِدونه عنهم بعنف وخشونة، ولا يجيبونه إلا بالسباب والشتيمة، فيعود وحيدا فريدا"[1]، فتعلَّمت معنى أن تكون وحيدة لا يؤنِسُها إلا الحق الذي تحمله.

هؤلاء الملأ من قريش تعاهدوا يوما أن يفتكوا بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وكلٌّ منهم كان قد أخذ دورا معينا في ذلك، وكانت البنت تسمعهم، فهُرِعت إلى أبيها تبكي، فقال لها: (ما يبكيك يا بنية؟)، قالت: يا أبه مالي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش يُعاهِدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبَه من دمك، فأراد أبوها أن يُذيقَها

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٤.

حلاوةَ المواجهة للطغاة بشجاعة في الموقف الحق، فقال لها: (يا بنية، ائتيني بوضوء)، فتوضأ، ثم خرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، فطأطأوا رؤوسهم، بل وتناول صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من التراب فحصبهم بها، وقال: (شاهت الوجوه)، فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصاته إلا قتِل يوم بدر كافرا[1].

وفي مرة من المرات حدث موقفٌ سجَّله عبدُالله بنُ مسعود، قال: "بينما كان رسول الله يصلِّي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وفيهم عقبة بن أبي معيط الأموي، وكان أسفهَ قريش، فأطال رسولُ الله السجودَ، فقال أبو جهل: أيُّكم يأتي جزورا[2] لبني فلان، قد نُحِرَتْ بأسفل مكة، فيجيء بفرثها[3] فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقاهم عقبة، فلما سجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ألقاه ما بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضُهم يميل على بعض".

قال ابن مسعود: "وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحْتُه عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية[4]، فطرحَتْه عنه، ثم أقبلت عليهم توبِّخُهم

---

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٦١.

(٢) هو الجمل أو الناقة مجزورة.

(٣) مخلفات كرشها.

(٤) هذا الوصف يشير إلى ترجيح أنها وُلِدَت في عام البعثة، فتصير جويرية في حال اشتداد إيذاء قريش لأبيها؛ إذ لو كانت ولدت في الخامسة من البعثة كما يرويه بعض المؤرخين لما وصفها ابن مسعود بـ(جويرية)؛ إذ لا تزال طفلة حينئذ.

وتُغْلِظ عليهم[1]، وتدعو عليهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاتَه، رفع صوته، ثم دعا عليهم، قال ابن مسعود: فلقد رأيتُهم قُتِلوا يوم بدر، وأُلْقُوا في القُليب"[2].

هذه الرواية تُثْبِتُ أن فاطمة تلك الأنثى التي تنتمي إلى الجنس المحتقَر عند أولئك الأعراب القرشيين، هذه الأنثى الجويرية قوِيَتْ على ما لم يَقْوَ عليه رجلٌ كابن مسعود، وصرَخت صرخة الدين والعزة والكرامة في وجوه أولئك الطغاة الذين تجرَّأوا على إيذاء أشرفِ الخلق وأطهرِهم وأكرمهم.

بل إن الرواية تشير إلى أن رجلا أسرع بإبلاغ فاطمة بما عمله المشركون، فمن هو ذلك الرجل؟ ولماذا ذهب إلى فاطمة الصغيرة، وقصَدَها دون سواها من الرجال والنساء؟ لتأتي فتصرخ في وجوههم وتنصر والِدَها الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم؟

ليس بمستبعد أنه بلغ من حرص الزهراء سلام الله عليها، على نصرة أبيها الرسول أن كلَّفت مَنْ يُبَلِّغها بكلِّ ما يسوء والدَها لتأتي هي أنثى صغيرة فتنصُرُ الرسولَ بما لم يستطع الذكورُ الكبارُ أن يفعلوه، وهذا ما يجب أن تعيَه فاطمة اليوم، فإنه بإمكانها أن تنصُرَ إسلامَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما نصرت فاطمة أباها، نصرة لدين الله الذي جاء به.

---

(١) في الرواية: ثم أقبلت تشتمهم، ولعله من تَصَرُّف الرواة وروايتهم بالمعنى، والأليق بها سلام الله عليها أن تكون قد أغلظت عليهم عتابا وتقريعا لا شتما.

(٢) البخاري، الصحيح، ج٤، ص٢٢٠، ٢٦، كتاب الجزية، ومسلم، الصحيح، ج٣، ص١٤١٨، ١٤١٩، كتاب السير؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص١٢٥.

أما لماذا فاطمة وليس أيًا من إخوتها وأخواتها، فإنه لاستثنائية فاطمة عليها السلام، ورمزيتها في الإسلام، وكيف أن رسول الله رمْزُ الإسلام وعنوانه كلما أراد الأعداء تشويهَه وإيذاءَه أو تشويهَ دينه جاءت فاطمة أو أعلام الهدىٰ من ذريتها ليزيلوا ذلك الإيذاء، ويُصلحوا ذلك التشويه.

وما أعدلَ ما نراه من فاطمة اليوم في اليمن صغيرة وكبيرة وهي تقتدي بفاطمة الزهراء قوةً ومبادَرةً وصراخا في وجه الباطل، والطاغوت، والاستكبار والعدوان!

ما أعظم ذلك الموقف بتلك اليدين الحانيتين الصغيرتين، وهما ينفيان عن رسول الإسلام القذارات التي رماها عليه سفهاء قريش وكبراؤها! وما أعظم ذلك القلب الكبير موقفا، والصغير حجما! وما أكرمَ وأعزَّ ذلك اللسانَ وهو يصرخ في وجوه عتاولة الاستكبار والاستهزاء، فتَخْرَسَ ألسنتُهم، وتتوارىٰ شخوصُهم المتعاظمة زورا وزيفا!.

إن فاطمة عليها السلام في ذلك الجو الجاهلي، بثقافته المضادة للمرأة لكونها أنثىٰ، كانت رسالة السماء إلىٰ أولئك الأقوام الذين ما فتئوا يحتقرون الأنثىٰ، فكانت "شكل تحرير المرأة في هذا الدين من الظلم الجاهلي، وارثة كل مفاخرِ أهلها، وصاحبة مبادئِ أسلافِها في المجتمع الذي لم يكن يرىٰ غسل عار البنت إلا بوأدها حية، وأفضل الأصهار الذي يتمناه كلُّ أب هو القبر، كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ماذا تفعل به يد القدر، وفاطمة تعرف من

تكون، ولهذا وقف التاريخ مدهوشا أمام تعامل محمد مع ابنته الصغيرة، وركع أمام مديحه غير العادي لها. معاملة كهذه، تعني شيئا أكثر من التدليل والحب الأبوي الذي يمكن أن يفيض به قلبُ أبٍ على ابنته، أن يقبِّل يدَ ابنته، وابنته الصغيرة، هذا التصرف يعتبر ضربة ثورية انهالت على العوائل والعلاقات غير الإنسانية للبيئة، حيث هناك نبي الإسلام يقبِّل يد فاطمة"[1].

"هذا التصرفُ يبين بوضوح لأعين كبار الصحابة وسياسيي المسلمين وعامتهم عظمةَ فاطمة، ويعلِّم كلَّ الناس كيف يتحرَّرون من العادات والأوهام التاريخية والتقليدية، ويُعَلِّم الرجل أن يَنْزِل من عرش جبروته وتجبُّره الفظّ، وتفرعنه أمام المرأة، مشيرا إلى المرأة أن ترتفع عن ذلتها وحقارتها القديمة والجديدة، في كونها ألعوبة في الحياة، إلى قمة الجلال والعظمة والعفة الإنسانية"[2].

فهل نتعلم نحن الرجال من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كيف نفرِّق بين ما هو عادة اجتماعية، وما هو حكم إسلامي في ما يتعلق بالمرأة، وهل تتعلم المرأة اليوم كيف تتمرد وتثور على الصورة الشائهة والنمط المتَّسخ الذي يحاول أعداء الفطرة ترسيخَه لها، بأن تكون مجردَ تسلية للذكور، ومجرد قالبٍ جنسي محموم تنتهي إليه فحولتهم؟

---

(١) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٢.

(٢) المرجع السابق.

أسماؤها وألقابها

قال الإمام الحسن بن بدر الدين (ت٦٧٠هـ): "وروينا عن الصادق عليه السلام: لفاطمة ثمانية أسماء: الصدِّيقة، والزهراء، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والبتول، وفاطمة"[(١)].

أما اسمها فاطمة فهو مشتق من الفطْم بمعنى القطع، يقال : فطمت الأُمّ صبيها، وفطمَت الرجلَ عن عادته، إذا قطعته عنها. واسم (فاطمة) مشهور عند العرب، ومتداوَل بينهم بكثرة، وقد بلغَ عدد الصحابيات المسميات بفاطمة ٢٤ صحابية[(٢)]، لكن لشرعية الاسم في حق الزهراء، فهذا يعني أن فاطمة عليها السلام قد منَعت نفسها ابتداءً من مواقعة المعصية، وكذلك مِن كثير من الأشياء المباحة، فمنعها الله من النار انتهاءً وجزاءً.

إن هناك خصوصية جزائية واستثنائية تكريمية من الله لها تسلِّط الضوء على سبب التسمية أيضا؛ إذ أنه فطمها وفطم أولادها ومحبيها من النار، ممن كان منهم على التوحيد والإيمان، والعمل الصالح؛ فقد روى الإمام الرضا بسنده عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما سُمِّيَتِ ابنتي

---

(١) أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين – خ –.

(٢) تاج العروس، مادة فاطمة.

فاطمة؛ لأن الله تعالى فَطَمَهَا وفَطَمَ مَنْ أحبها من النار)[1]. وفي رواية أخرى من طريق أهل البيت عليهم السلام عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُوْلُ: (إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لأَنَّ اللهَ فَطَمَهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ النَّارِ لِمَنْ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ بِالتَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ بِمَا جِئْتُ بِهِ)[2].

وهذا يبيّن أن التسمية لفاطمة عليها السلام كانت تسمية توقيفية، من الله عز وجل، أوحى بها إلى نبيه صلى الله عليه وآله؛ الأمر الذي يبيِّن أيضا أن مولدها كان بعد نزول الوحي، وهو يرجِّح ما ترجَّح سابقا من أنها وُلِدَت في عام البعثة.

ولا شكَّ أن من يُحِبُّها بصدقٍ وإخلاصٍ ومعرفةٍ فإنه يعني أنه محبٌّ لقيم الحق والشجاعة والعفاف والشرف، ومكارم الأخلاق، التي تحلَّت بها الزهراء سلام الله عليها، ومن يكون كذلك فإنه "يقترن بحب خصال الخير وعقائد الحق التي كان ينطوي عليها قلبُها الطاهر، مع الانقطاع عن كلِّ ما يمتُّ إلى الشر بصلة من الظلم والبغي والعدوان"[3]، وهذا ما يؤهله لأن يكون مفطوما من النار، ويسبِّب له أن يتجنَّب المعاصيَ المسخِطةَ لله تعالى، ويسارِع في مرضاته.

---

(١) صحيفة الإمام الرضا، ص٨٩.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٨؛ وينظر الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج٢، ص١٨٨.

(٣) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٢٧ - ٢٨.

وأما لقب الزهراء: فهو من الزّهر، والأَزْهَرُ من الرجال: الأَبيض العتيقُ البياضِ النَّيِّرُ الحَسَنُ، وهو أَحسن البياض، كأَنَّ له بَرِيقاً ونُوراً يُزْهِرُ كما يُزْهِرُ النجم[1]، والأنثى من ذلك: زهراء. قال ابن الأثير: "في صفته صلى الله عليه وآله وسلم (أنه كان أزْهَرَ اللَّون)، والأزْهَر: الأبيضُ المُسْتَنِير، والزَّهْر والزَّهْرة: البياضُ النيِّر وهو أحسنُ الألوان"[2]، وإذا عرفنا مشابهة فاطمة لأبيها اتضح لنا بشكل جيد مأخذ تسميتها أو تلقيبها بالزهراء.

وقال ابن الأثير أيضًا: "ويراد به إشراقُ نورِ إيمانها، وإضاءته على إيمان غيرها"[3]. وقال المناوي: "سُمِّيَتْ بالزهراء؛ لأنها زهرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم"[4].

وارتجزت بعضُ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زفافها عليها السلام قائلة:

فاطمةٌ خيرُ نساءِ البشرِ ... ومن لها وجهٌ كوجهِ القمرِ

فضَّلَكِ اللهُ على كلِّ الورى ... بفضلِ من خُصَّ بآيِ الزُّمَرِ[5]

و"يستفاد من جملة الأحاديث والأخبار أنّ فاطمة عليها السلام عُرِفَتْ بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع في غُرّتها، فهي مُزْهِرة كالشمس الضاحية، ومشرقة كالقمر المنير"[6].

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة زهر.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٨٠٤.
(٣) ابن الأثير، منال الطالب، ص٥٠٨.
(٤) المناوي، إتحاف السائل، ص٢٤.
(٥) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٣٥٥.
(٦) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٢٨.

وأما لقب البتول: فالبتل في اللغة هو القطْع، والتبتل هو الانقطاع إلى الله، والإخلاص إليه إخلاصا[1]، وسُئِل ثعلب وهو من أئمة اللغة: لِمَ قيل لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البتول؟ فقال: "لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأُمة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً"[2]. وأضاف صاحب القاموس: ولانقطاعها عن الدنيا[3]، أما الخطَّابي فقد قال: "فأما فاطمة فإنما قيل لها البتول؛ لأنها منقطعة القرين نبلا وشرفا"[4]. وهو معنى ما ذكره ثعلب، وأضاف ابن منظور أيضا: "وامرأة مُبَتَّلة الخَلْق أَي منْقطعة الخَلْق عن النساء، لها عليهن فضلٌ؛ من ذلك قول الأَعشى:

مُبَتَّلَةِ الخَلْقِ مِثْلُ المَهَا   ةِ لم تَرَ شَمْساً ولا زَمْهَرِيرا"[5]

وهي معانٍ تتوافق وما كانت عليه فاطمة من العبادة لله، والإخلاص له، والانقطاع إليه، والسيادة والفضل على نساء العالمين.

وما ذكره البعض من كونها لا تحيض، فهذا لم يصح في روايات أهل البيت عليهم السلام[6]، وكذلك لم يُعجبْني قولُ الإمام الزمخشري رحمه الله: إنما

---

(١) الخليل، العين، ج٢، ص٣٨.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٥، ص١١؛ والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٥٣؛ وابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٢.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٥٣.

(٤) غريب الحديث، ج٢، ص٢٣٠.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٢.

(٦) الهادي يحيى بن الحسين، الأحكام، ج١، ص٢٤٦؛ وأحمد بن عيسى، أمالي أحمد بن عيسى، (رأب الصدع، ج١، ص٦٤٦).

سمِّيَت بذلك تشبيها بمريم البتول، المنقطِعة عن الرجال؛ لأن مدلولات المعنى اللغوي حاضرة بقوة في الزهراء فاطمة عليها السلام أصالة من دون تشبيه.

وأما ألقاب الصديقة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، فإنها ألقاب تشير إلى أوصافها العظيمة، من الصدق، والطهارة، والزكاء، والرضا منها وعليها.

وصفها الخِلقي

شاء الله أن تكون هذه الأنثى امتدادَ أبيها، وتحمِل في جيناتها أعلام الهدى الذين يخلِّفون الرسولَ في أمته قائمين بالحق؛ ولهذا منحها الله خصوصيةً استثنائية أخرى، ألا وهي شَبَهُها القويُّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى في مِشيتها، ويمكنُ استيحاء شخصيتها الجسمانية والخِلقية من صفات والدِها الرسولِ الأنور، ذي الجبين الأزهر، صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقب الزهراء يبين جمالَ هيئتها، ويشي بالنور الساطع من غُرّتها، وهي صفات تُلقِم حجرا أفواهَ أولئك المستشرقين الذين حاولوا تصويرَها بأنها لم تكن كذلك.

قالت أمُّ أنسِ بنِ مالك: "كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، بيضاءَ مُشرَبةً حُمرة، لها شَعرٌ أسود، من أشدِّ الناس برسول الله شبها"(١)، قال عبدالله بن أنس بن مالك، أحد رواة سلسلة الخبر، كانت والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيامٍ شعرها ... وتغيب عنه وهو جثْلٌ أَسْحَمُ(٢)

فكأنها فيه نهارٌ مُشرِقٌ ... وكأنه ليلٌ عليها مُظْلِمُ(٣)

---

(١) الحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٧٦، رقم ٤٧٥٩؛ وحمزة الجرجاني، تاريخ جرجان، ص١٧٠.

(٢) جثل الشعر: كثر والتف واسودّ، والأسحم: الأسود.

(٣) حمزة الجرجاني، تاريخ جرجان، ص١٧٠.

فاطمة في القرآن

تحدَّث القرآن الكريم عن الزهراء باعتبارها من أهل بيت نبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذوي قرباه ونسائه، ومن الأبرار الزاكين.

١ - يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، تقول الروايات المتكاثرة: إنه لما أنزل الله هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين، فَجَلَّلَهم بكساءٍ يماني، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)[١]، وبعد نزول هذه الآية مكث صلى الله عليه وآله وسلم مدة طويلة يأتي منزل فاطمة كل غداة فيقول: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٢].

وأما الرجس الذي أذهبه الله عنهم، وطهرهم تطهيرا، فهو "الفعل الرديء النجس من المعاصي والأدناس، والأسفاه[٣] التي تكون في بعض

(١) أخرجه مالك، وأحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني، والحاكم، وأبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن عساكر، وابن مردويه، وابن المنذر، وعامة المحدثين، ورواه أهل البيت بأسانيدهم إلى أمير المؤمنين، والحسن السبط، وفاطمة الزهراء، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم. (ينظر المؤيدي، لوامع الأنوار، ج١، ص٥٥).

(٢) ينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٤٣؛ وينظر المصادر السابقة.

(٣) جمع سفه.

الناس، فأمر الله سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أهل بيته بتقواه وطاعته، وترْكِ النجس من جميع معصيته، بما أذهب عنهم من كل رجس أو دنَس، وبعَّدهم من كل معصية ونجَس"[1].

إن هذه الآية تؤكِّد أن الله أراد أن يُذهب عن السيدة فاطمة الزهراء وأهل بيتها كلَّ رجس، وما أراده الله كان، وأكَّد ذلك بإرادته تطهيرهم تطهيرًا؛ وبالتالي فهم معصومون عن ارتكاب الآثام.

٢- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١]، وتُسَمَّىٰ آيةَ المباهلة، عندما كابر نصارىٰ نجران الحجة، أمر الله بدعوتهم إلىٰ المباهلة، أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت آية المباهلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، وقال: (هؤلاء أهل بيتي)[2]. وهنا يتبين أن القرآن الكريم عبَّر عن الزهراء بـ(نساءنا)، حيث مثلت نساء الأمة باعتبارها سيدة نساء هذه الأمة، وأكرِم بها من فضيلة ومنقبة، ولكونها كذلك صح إطلاق لفظ الجمع عليها.

٣- قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي، ج٢، ص٦٢٠، مسائل القاسم رقم ٢٠٢.
(٢) مسلم، الصحيح، ج٤، ص١٨٧٠، رقم٢٤٠٤.

حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣]، روي أنها لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتُك الذين أمرَنا الله بمودتهم؟ قال: (علي وفاطمة وولدهما)[١]، وذوو القربى هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، وأول تلك الذرية ورمزها ونهر كوثرها هي الزهراء؛ يقول فقيه القرآن العالم المجاهد بدر الدين الحوثي: "والحكمة في ذلك أن الناس إذا أحبوهم اتَّبعوهم، فتعلَّموا منهم، واهتدوا بهداهم، بخلاف ما إذا أبغضوهم، فإنهم يتباعدون عنهم، ويتنكَّرون لإرشاداتهم، ويتركون الاقتداء بهم"[٣].

٤- هي من الأبرار الذين وردت آياتُ سورة الإنسان في فضلهم، وما أعد الله لهم من الإكرام؛ وذلك لَّما نذَرَت مع أهل بيتها بالصيام، فلما حان وقت إفطارهم جاءهم مسكين ويتيم وأسير يسألونهم، فأعطوهم أقراص إفطارهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً* يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً

---

(١) خبر مشهور مروي عن جماعة من الصحابة، أخرجه الحسكاني من طرق، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، وإسحاق، وعبد بن حميد، والحسن بن سفيان، والبغوي، والثعلبي، والمرشد بالله من طريقين، والحاكم، وابن حنبل، وابن المغازلي.

(٢) الحوثي، التيسير في التفسير، ج٦، ص٣٦٥.

(٣) الحوثي، التيسير في التفسير، ج٦، ص٣٦٥.

وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً* وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً* مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً* وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً* وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا* قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً* وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً* عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً* عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾[الإنسان:٥-٢٢] من سورة الإنسان.

نزلت هذه الآيات في أهل البيت هؤلاء[(١)]، ووصفتهم الآيات بأنهم أبرار، ويوفون بالنذر، ويخافون اليوم الآخر، ويُطعمون الطعام على حاجته، ولوجه الله، وبغير جزاء ولا شكور، وأنهم يخافون يوما عبوسا قمطريرا، ولهذا جزاهم الله بالفضل العظيم والخير العميم.

إذن الفضل جاءهم من قبل أعمالهم، حيث بادروا بأفعال طيبة وخيِّرة مواكِبة لانفعالاتٍ اعتقادية، وذات دلالة ضميرية، في ما بينهم وبين الله عز

(١) رواه الإمام الهادي في الأحكام، والسيوطي في الدر المنثور، وغيرهما. ينظر الحوثي، التيسير في التفسير ج٧، ص٣١٥- ٣١٦.

وجل، من الصيام وإيفاء النذر، والخوف من الله واليوم الآخر، وعذابه، وتترجمت هذه الاعتقادات إلى أفعال سلوكية، فأطعموا الطعام على حبه؛ لهذا مدحهم الله ذلك المدح، وجازاهم ذلك الجزاء.

٥- امتن الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه أعطاه الكوثر، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[الكوثر:١-٣]. قال الإمام زيد: "الكوثر: هو الخير الكثير"[١]، وقال الإمام القاسم بن إبراهيم: "الكوثر هو العطاء الأكبر"؛ قال السيد المجاهد بدر الدين الحوثي: "وهو عام لنعم الله التي أنعم بها على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم". وذكر أيضًا أنه لا مانع من تفسيره بكثرة الذرية إلى جانب كلِّ ما يشمله عموم اللفظة من المصاديق الكثيرة[٢]؛ ولا شك أن الزهراء هي رمز الكوثر، ومُنطَلقُه.

---

(١) تفسير غريب القرآن للإمام زيد، ص٢٠٠.

(٢) التيسير في التفسير، ج٧، ص٥٩٣، ٥٩٤.

فاطمة في كلمات الرسول الكريم وتعاملاته

يمكن إجمال بعض فضائلها التي وردت في كلام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه في التالي:

١ - أن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: (إن الله تعالى يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها)[(١)].

٢ - أنها بَضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم، يؤذيه ما آذاها، ويُغضِبه ما أغضبها، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بَضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني)، وفي رواية أخرى: (فإنما هي بَضعة مني يريبُني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها)[(٢)]، وفي رواية: (إنما فاطمة شِجنة مني يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها)[(٣)].

---

(١) رواه أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الرضا في صحيفته، ص٩٠، والإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية، ص٢٢٤، والإمام القاسم بن إبراهيم، كما نقل عنه الإمام أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة، (فصل إمامة الإمام زيد بن علي عليه السلام)، وأخرجه المحدثون، ومنهم ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ج٨، ص٣١٣، رقم٢٦٢٤، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، ج٢٢، ص٢٠٦، رقم٦٧٠٤، والحاكم في المستدرك ج١١، ص٣٨، رقم ٤٧١٣، وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في الكبير، ج١، ص١٠٨، رقم ١٨٣، ج٢٢، ص٤٠١، رقم١٨٨٥٣، وآخرون.

(٢) ينظر البخاري، الصحيح، ج٣، ص١٣٦١، رقم٣٥١٠.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٨، رقم٣٧٣٤؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٥، رقم١٠١٤.

والبَضعة بالفتح: القِطعة من اللحم، وقد تُكسر، أي أنها جزء منه ﷺ، كما أن القطعة من اللحم جزءٌ منه[1]، والشّجنة بضم الشين وكسرها: الرحِم المشتبِكة، وأصلُها شُعبة من غُصنٍ من غصون الشجرة[2].

وهذا الحديث برواياته المتعددة يبيِّن خطورة إغضاب فاطمة أو إيذائها، أو إقباضها وأن ذلك بمثابة إغضاب رسول الله أو إيذائه، أو إقباضه ﷺ، وكان ﷺ بهذا يُعطي درسا عظيما وكبيرا في أهمية الالتزام بالمبادئ الدينية، والأحكام الشرعية، ويُحَذِّر من خطورة الانحراف الذي دليل انحرافه إغضاب فاطمة سلام الله عليها.

كما يشير إلى رمزية فاطمة عليها السلام؛ لكونها أمَّ ذريته الذين بهم صلاح الأمة وهدايتها، وأكد الرسول ﷺ أنها قطعة منه، وأن حكم هذه المرأة حكمه في مجتمعٍ كان يهين المرأةَ ويحتقِرُها، ويعتبرها عارًا.

٣- وصفها الرسول ﷺ بالسيادة، فمرة بأنها سيدة نساء هذه الأمة، ومرة بأنها سيدة نساء العالمين، وثالثة بأنها سيدة نساء أهل الجنة، ووردت أحاديث كثيرة بذلك في كتب المسلمين جميعا[3]، وصار هذا معروفا

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٣٤٥.

(٢) لسان العرب، ج١٣، ص٢٣٢، مادة شجن.

(٣) ينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٥؛ والإمام زيد، مسند الإمام زيد، ص٣٦٢، بلفظ "خير نساء العالمين".

عند المسلمين[1]، وأوصافها بأنها (سيدة نساء المؤمنين)[2]، وأنها (سيدة نساء هذه الأمة)[3]، وأنها (سيدة نساء أهل الجنة)[4]، تعبِّرُ عن علوِّ مقامها، وأنّها تفرّدت بها لفرادتها فضلًا وبركة، وتفردها عملًا وإنجازًا.

إنها نموذج المرأة المؤمنة؛ إذ هي سيدة نساء هذه الأمة، وهي نموذج المرأة العالمية إذ هي سيدة نساء العالمين، وهي نموذج المرأة التي تبتغي طريق الجنة؛ إذ هي سيدة نساء أهل الجنة، فنساء هذه الأمة يجِدْن في الزهراء نموذجَهن القرآني، الذي ينبغي التأسي به في جميع مجالات تحركها، وهناك من المفاهيم والقضايا والمبادئ الإنسانية والفطرية ما يجعل المرأة العالمية، تجِد ضالَّتها المنشودة في نموذج الزهراء سلام الله عليها، وهناك فيها سلام الله عليها من المواصفات الإيمانية ما تجد فيها المرأة المؤمنة التي تبتغي الجنة طريقها إليها.

إنها نموذج الحرية والكرامة والعلم والعدل والإنصاف والتواضع

---

(١) الرازي، أخبار فخ ويحيى بن عبدالله، ص٦٠.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٤١؛ والبخاري، الصحيح، ج٥، ص٢٣١٧، رقم ٥٩٢٨؛ ومسلم، الصحيح، ج٤، ص١٩٠٤، رقم٢٤٥٠.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٤١؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

(٤) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٣٤٨؛ والبخاري، الصحيح، ج٣، ص١٣٢٦، رقم٣٤٢٦؛ ومسلم، الصحيح، ج٤، ص١٩٠٤، رقم٢٤٥٠.

والإنسانية والإيثار والتفضل وقوة الموقف، واعتداد المرأة بكرامتها الآدمية، وحسن التربية، بما يغني أيَّ امرأةٍ اليومَ عن الاتجاه إلى نموذجٍ آخَر، وهي تتوق إلى جميل المبادئ، وروعة العفاف، وقوي المواقف.

٤- وردت أحاديثُ كثيرة تضعها سلام الله عليها ضِمنَ أربعِ نسوةٍ من العالم فُقْن نساء العالم خيرية وأفضلية من أول الدهر إلى آخره؛ فمنها حديث عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون)، وحديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)، ومنها رواية عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خيرُ نساءِ العالمين أربعٌ، مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وبمقارنة هذه الأحاديث بما قبلها فالذي يتضح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنصِّه على هؤلاء الأربع إنما أراد التعريف بأفضل نساء الجنة والعالم كنماذج متعددة في أمم مختلفة، بينما حين خصَّ فاطمة بتلك الأوصاف العظيمة، فإنه إنما أراد أنها سيدة النساء في هذا العالم، وفي الجنة، وعلى جميع النساء

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٢١ - ١٨٢٣.

بما فيهن أولئك الثلاث النساء الفاضلات، وهن مريم وخديجة وآسية سلام الله عليهن.

إنها النموذج الأنثوي للكمال البشري، الذي يُضْرَب مثالا في القدوة الصالحة، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نموذج الرجال، وهذه المرأة التي هي قطعة منه، نموذج النساء، إنها خصوصية هذه الأنثى المصطفاة واستثنائيتها.

٥ - كان صلى الله عليه وآله وسلم يُفضِّل الزهراء، ويعتبرها أحب النساء إليه إطلاقا، وهي محبة من نوع خاص؛ فعن بريدة قال: (كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة، ومن الرجال علي بن أبي طالب)[١]. ودخل جميع بن عمير على عائشة فسألها: أي النساء كانت أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: فاطمة، قال: قلت: فمن الرجال؟ قالت: زوجها؛ إذ كان ما علمته صوّاماً قوّاماً[٢].

إن هذه المحبة التي حازت المرتبة الأولى عند هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأنثى الكريمة هي التي دل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أعلن تمسكه بإجراء أحكام الله حتى بأحب الخلق إلى قلبه وهي فاطمة، عندما قال: (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)، وهو بهذا يشير بوضوح إلى أن الحق أقوى من أحب الخلق إليه، وهي فاطمة صلوات الله عليها.

---

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٦؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٦٨، رقم٤٧٣٥، وصححه الذهبي؛ والترمذي، السنن، ج١٤، ص٢٣، رقم٤٢٤٢.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٦؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٧١، رقم٤٧٤٤؛ والترمذي، السنن رقم٤٢٤٢.

٦- أشبهت أباها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هديِه وسمتِه؛ لذا كان من الطبيعي أن تكون أحب النساء إلى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها كانت امتدادَه الشريف، ونهرَ كوثره الجاري عبر الزمن، ولأنها بضعة منه، وغصنٌ أزهر من شجرته المغدِقة، وأم ذريته الطاهرة، ووالدة أعلام الهدى الميامين من أهل بيته.

من الطبيعي أن تكون كذلك وهي تشبهه في كل شيء، تشبهه في كلامها، وحديثها، وصدق لهجتها، وفي سمتها، وفي هديها، وقعودها وجلوسها، تقول عائشة: "ما رأيت أحدا أشبهَ كلامُه وحديثُه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة"، وتقول: (ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها)(١)، وفي رواية: (ما رأيت أحدا أشبه سمتا(٢)، ودلا(٣)، وهديا(٤) برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة بنت رسول الله في قيامها وقعودها)(٥)، وقد لاحظَت عائشة مشابهة فاطمة لأبيها حتى في حالة المشي، قالت وقد روت مجيء فاطمة عليها السلام إلى أبيها قبيل وفاته: (لا والله ما تخفَى مشيتُها عن مشية

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٣٣، وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٥.

(٢) السمت: عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان، من السكينة والوقار وحسن الطريقة واستقامة المنظر والهيئة.

(٣) الدَلُّ: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة و الوقار في الهيئة و المنظر و الشمائل. وهو مقارب للسمت.

(٤) الهدي: السيرة والهيئة والطريقة.

(٥) الحاكم، المستدرك، ج٤، ص٣٠٣، رقم٧٧١٥، وقال الذهبي: صحيح؛ والترمذي، السنن، ج١٤، ص٢٧، رقم٤٢٤٦. باب فضل فاطمة؛ وأبو داود، السنن، ج٤، ص٥٢٣، رقم٥٢١٩، باب ما جاء في القيام.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[1]، أو (تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[2]، هذه المشابهة العميقة توحي وتشير إلى قوة التأثر والاهتداء والاقتداء من فاطمة بأبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٧- خصَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعاملاتٍ مميزة وكثيرة، أراد من خلالها ترجمة تلك الفضائل القولية إلى احترامٍ وتبجيلٍ فعلي، فمنها:

أ-أنه كان إذا دخلت عليه قام إليها، فقبّلها، ورحّب بها كما كانت هي تصنع به[3].

ب-كان يقبلها دائما، تقول السيدة عائشة: (كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبِّل فاطمة)، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشم منها رائحة الجنة، فإذا اشتاق إلى رائحة الجنة شمَّ ريح فاطمة[4]، وفي الحديث: (فاطمة حوراءُ إنسية، كلما اشتقتُ إلى الجنة قبَّلْتُها)[5].

ج- كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سافر يجعلُها آخِرَ الناس به عهدًا، وإذا قدم قدِم إلى بيتها أولا، فكانت أول الناس به عهدا، كما روى ذلك ابن عمر، خلا أنه في

(١) البخاري، الصحيح، ج٥، ص٢٣١٧، رقم٥٩٢٨.
(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٤١؛ وأحمد، المسند، ج٦، ص٢٨٢، رقم٢٦٤٥٦.
(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٦.
(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٦.
(٥) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٧؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٨٧، رقم٢٤٨١.

بعض الروايات كان إذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة عليها السلام، ثم يأتي أزواجه[1].

د- كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا بكت يمسح الدموع من عينيها بطرف ثوبه[2]، واستمر على ذلك حتى مرض موته؛ إذ لما بكت وسمع صلى الله عليه وآله وسلم صوتها "ففتح عينيه، ثم رفع يده، فمسح خدها من الدموع"[3]. ولعله كان يعِزُّ عليه أن يراها باكية؛ لأنها بضعة منه، وأراد أن يعلِّم أمته أنه لا يجوز أن تصنع أو تفعل ما مِنْ شأنه أن يُبْكي فاطمة، وأن تعمل هذه الأمة على أن لا تُغْضِبَها، وأنه يجب أن تكون مع ما يُسْعِدُها ويجفِّف دموعَها.

ه- وكانت تضع خدّها على خده، ومرة وضعت خدَّها على خده، فبكت حتى اخضلَّت لحيتُه ووجهُه بدموعها[4].

و- وكان إذا دعاها أجلسها بالقرب منه، وأسرّ إليها دون مَنْ سواها، ولما دنا أجله دعاها إليه، فجاءت (فوضع رأسه في حجرها ساعة)، وخصها بحديثٍ أسرَّه إليها فقط، وخصَّها به دون نسائه، فرأَيْنَها تبكي مرة، ثم تضحك أخرى، ولم يعلمْن سبب ذلك إلا بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم من خلالها[5].

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٥.
(٢) العجري، إعلام الأعلام، ص٣٤٤.
(٣) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٤٩.
(٤) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٤٥.
(٥) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٤٥؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٤١ـ

ز - وفي ذلك الحديث الذي أسرَّه إليها وحدها أخبرها أنه مُرْتحِل عن الدنيا عما قريب، فبكت، ثم لما بشَّرها بأنها أول أهل بيته لحوقا به، وقال لها: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة) ضحكت[1].

ح- وكثيرا ما ذكَّرها بنعمة السيادة، مثل قوله لها: (أما ترضين أن تكوني سيدة ..)[2].

ط -ولقد كان حريصا في كل مرة أن تعيش فاطمة على طريقة أبيها، بعيدة عن بهرج الدنيا وزينتها، وعندما رأى على بيتها ستارة مزيَّنة ومنقوشة عاد ولم يدخل، فسرعان ما بادرت هي عليها السلام بإزالتها، وأرسلتها إلى أبيها كي يبيعها، ويتصدق بقيمتها، بينما بقيت قرائبه الأخريات يعِشْنَ فيما شئن من متاع الدنيا؛ لأنها كانت شيئا وكن شيئا آخر.

ي- وتردَّد صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول آية التطهير شهورا على بيتها وبيت علي عليهما السلام كل غداة، يناديهم: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا)[3].

ك- وأمر بسد أبواب بيوت الصحابة المُشْرَعة إلى المسجد، إلا باب علي

٢٤٢، ٢٤٣؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص١٨١ - ١٨٢؛ والبخاري، الصحيح، ج٥، ص٢٣١٧، رقم ٥٩٢٨؛ ومسلم، الصحيح، ج٤، ص١٩٠٤، رقم ٢٤٥٠.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٤١ - ٢٤٢؛ والبخاري، الصحيح، ج٥، ص٢٣١٧، رقم ٥٩٢٨؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٤٣؛ وغيره.

وفاطمة عليها السلام [1]، إنه التفضيل والاصطفاء لعظيمِ الدور وشريفِ وجليلِ الوظيفة التي يهيئها الله ورسوله لهذه الأسرة الطيبة.

ل- وزوّجها صلى الله عليه وآله وسلم وصيَّه وخليفته من بعده، مَنْ وصفه بقوله: (سيد في الدنيا والآخرة) [2].

م-كناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أم أبيها). وستأتي بعض النقاط حول هذه الكنية ودلالاتها.

ن-أوصى الرسول بها وولديها اللذَيْنِ هما امتدادُه حتى يوم الحشر، وسماهم الوصية العظمى، وقال: (أوصيكم بالوصية العظمى، بفاطمة والحسن والحسين خيرا) [3].

٨- وتولى الله أمر زواجها، فكان زواجها بأمر الله، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما أنا بشر مثلكم، أتزوّج فيكم، وأزوِّجكم، إلا فاطمة فإنها نزل تزويجها من السماء) [4].

---

(١) في سد الأبواب إلا باب علي حديث ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن سمرة، والامام الحسين، وجابر بن عبد الله، وأمير المؤمنين عليه السلام، ينظر الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج٢، ٤٥٧؛ وابن حنبل، المسند، ج٣، ص٤٣٩، رقم١٤٢٩؛ والطبراني، المعجم الأوسط، ج٩، ص١٣٠، رقم٤٠٧٧؛ والطحاوي، مشكل الآثار، ج٨، ص١٠٦، رقم٣٠٤٠؛ والترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٦٤١، رقم٣٧٣٢.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٥.

(٣) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٥٣.

(٤) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٣٢؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٧؛ وروى

٩ -وجعل ولديها سيدي شباب أهل الجنة، وإمامين قاما أو قعدا، ومن ذريتها أعلام الهدى الميامين.

١٠ - وفطمها وفطم أولادها ومحبيها من النار، ممن كان منهم على التوحيد والإيمان، كما تقدم.

١١ -وانقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا منها، وقد وصف القرآن ابنيها بأنهم أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ قال في آية المباهلة: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾، وهناك الكثير من الأحاديث الدالة على أبوته صلى الله عليه وآله وسلم للحسن والحسين، وهي أبوة حقيقية، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وأنا عصبتهما)[1]، وفي ألفاظ الخبر (كل بني أنثى لأبيهم إلا ابني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، و(إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)[2].

إن الله سبحانه وتعالى كرَّم فاطمة بأن حفظ الله ذرية أبيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ذريتها، وجعل عَقِبه من عقبها، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (كل سبب ونسب منقطع يوم

الإمام الرضا في صحيفته، ص١٧٢، رقم١٠٨، بلفظ: (يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: "قد زوجت فاطمة من علي فزوجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدر والمرجان والياقوت وان أهل السماء قد فرحوا بذلك، وسيولد لهما ولدان سيدا شباب أهل الجنة، وبهم يتزين أهل الجنة، فأبشر يا محمد فإنك خير الأولين والآخرين".

(١) رواه أبو يعلى الموصلي، وله شاهد من حديث جابر رواه الحاكم وصححه. ينظر البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ج٧، ص٩٢، رقم٦٧٧٣.

(٢) ينظر: المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٨- ٢٩.

القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)[1]. (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري)[2].

١٢- هي من الرسول وقطعة منه (بضعة)؛ ولذا كان حكمها حكمه، ومن مصاديق ذلك أنه لما ربط أبو لبابة نفسه في المسجد، وأقسم أن لا يحله أحد إلا رسول الله، وجاءت فاطمة بعد نزول توبته لتحُلَّه فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما فاطمة مضغة مني)، فحلّته[3].

ولهذا كلِّه فضَّلها علماء الشيعة بمختلف مذاهبهم على جميع النساء حتى على مريم العذراء البتول عليها السلام، وكذلك فضّلها من علماء السنة كثيرٌ من المحققين، ومنهم التقي السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي، والبلقيني، والسهيلي؛ لأنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وذهب الألوسي في تفسيره إلى أنها أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات على الإطلاق[4].

---

(١) أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج١، ص٢٣١، رقم١٩٩.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٤، ص٣٢٣، رقم١٨٩٢٧؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص٢٥، رقم٣٠؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٧٢، رقم ٤٧٤٧.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج٣، ص٤٣٩- ٤٤٠.

(٤) دكتور محمد بيومي، السيدة فاطمة الزهراء، ص١٨.

علمها

نشأت الزهراء في بيت أُسِّسَ على العلم، وتنزَّلت فيه آيات القرآن الكريم، وفيه الآية الآمِرة بالقراءة، ومن أمٍّ كانت تاجِرَة، وللتجارة مقتضياتها في وجوب تعلم بعض المعارف، ومن الطبيعي أن تنشأ فاطمة مفطورةً على حب المعرفة والعلم، فهناك الكثير من العوامل التي تدفعها في هذا الاتجاه؛ إنها سيدة نساء العالمين، ونساء هذه الأمة، ونساء أهل الجنة، ولا سيادة إلا بالسيادة في العلم أولا.

وما روي من مشاركاتها العلمية ورواياتها وآرائها وفقهها وخطبها واحتجاجاتها يشير إلى علمها الواسع، وحصيلتها الفائقة، رغم معاجلة الموت لها، بعد وفاة أبيها، إذ لم يُتَح لها إبداءُ ما لديها من رواية ومعرفة وعلم كما أتيح لنساء أخريات. غير أن مشاركاتها وآراءها في أهم القضايا العلمية والسياسية والاجتماعية في تلك المدة القصيرة بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيَّن أيَّ امرأةٍ عالمةٍ كانت الزهراء، وأيَّ زوجةٍ كان الله قد اختارها واصطفاها لباب مدينة العلم.

في مواقفَ مختلفة كان يذكِّرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدُها بما أنعم الله عليها، فيذكُرُ لها بأن زوجها "أكثر الصحابة علما"، أو "أعلمهم بالله تعالى"،

بالإضافة إلى كونه أولهم سلما، وأكثرهم حلما[1]، وهو بلا شك يريد ﷺ أن يَعْرِض لها شخصيةَ زوجِها العظيم من خلال أهم المقاييس الإسلامية التي يقيِّم الإسلامُ الشخصياتِ من خلالها، ومن خلال أهم المقاييس التي لدى فاطمة عليها السلام وهي المشغوفة بمقاييس الإسلام، فكان أهم تلك المقاييس هو "أكثرهم علما، أو أعلمهم بالله تعالى".

وقد مرَّ عن أمِّ سلمة قولُها عن فاطمة عليها السلام: "وكانت والله آدَبَ مني، وأعرفَ بالأشياء كلها"، كما مرَّ قول عائشة، أنها ما رأت مِثْلَها يُشْبِهُ رسولَ الله ﷺ في كلامِها، وحديثِها، وفي سمتِها، وهديِها[2]، ولا شكَّ أن المشابهة للرسول في الحديث والسمت والهدي لا بد أن يكون له علاقة بالجانب المعرفي كأفضلِ امرأةٍ تُشْبِهُ الرسولَ ﷺ في الناحية العلمية.

عاجلت المنيةُ الزهراء قبل أن تُزْهِر ثمارُ علمِها وتونِقَ أشجار معارفها، فغادرت الحياة وعمرها ٢٣ سنة تقريبا، قضتها في ظلال أبيها، الذي كان مرجع العالمين، ومَنْ تخفى بجانب إشراقةِ هديِه نجومُ الهداية؛

---

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٤٠، بلفظ: "أقدمهم إسلاما، وأحسنهم خلقا، وأعلمهم بالله تعالى"؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣، ص١٠٩٩، وفيه: "أول أصحابي إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما"، و "زوجك سيد في الدنيا والآخرة".

(٢) الحاكم، المستدرك، ج٤، ص٣٠٣، رقم٧٧١٥، وقال الذهبي: صحيح؛ والترمذي، السنن، ج١٤، ص٢٧، رقم٤٢٤٦. باب فضل فاطمة؛ وأبو داود، السنن، ج٤، ص٥٢٣، رقم٥٢١٩، باب ما جاء في القيام.

إلا أن الأشهُر القليلة التي قضتها بعد وفاة أبيها أظهرت ما كان لديها من معارفَ وعلومٍ بشكلٍ أثبت فرادتها وجدارتها وسيادتها على العالمين.

في خطبتها التي أنكرت فيها على أبي بكر استيلاءَه على أملاكها في فدك، وأنكرت على المسلمين تخاذلَهم عن نصرة ابن عمها وزوجها في تضييع مبدأ ولاية الإمام علي عليه السلام، أبانت عن علمٍ عظيم، ومعارفَ واسعةٍ وعميقة، في سرْدٍ مرتجَلٍ، وحبكٍ متقَن، لا يمكن استيعابه إلا أنه من فاطمة ابنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

في تلك الخطبة أظهرت – من دقائق معرفة الله، ومن معاني القرآن الكريم، وحُسن التعامل معه، ومن تفسيرات التشريعات الإسلامية، ومن طبيعة رسالة والدها الكريم، ودوره الرسالي في ظل الظروف الاجتماعية والفكرية، وأوضاع العرب الثقافية والاجتماعية والتطورات الدقيقة في هذا الجانب – ما يُذهِل القارئ لها.

لقد استدلت بكتاب الله على صحة موقفها استدلالا فقهيا متقنا، ومُفْحِما، ورتَّبَتْ أفكارَ خطبتها وسلسلتْها بطريقة متدرِّجة، أقامت من خلال ذلك لواء الحجة، وأقنعت المستمِع، وأفحمتِ الخصم، في صورة مؤثرة، وقدَّمت فيها تقريرا تاريخيا ضافيا عما كان عليه الصحابة ثم ما أصبحوا فيه، فجمعت فيه الفكريَّ والسياسيَّ والاجتماعي والتحليلي، وأوردت من معاني القرآن مع تفصيلات السنة، وحشدت المعارف

الفقهية مع اللغوية، بقوة ملاحظة، ودقيقِ توصيف، وحنكةِ جدل، تُفضي إلى قوة استنهاضٍ، وشديدِ توبيخ، لتأخذ بأكظامهم، وقد أوردتهم على مشهد الآخرة المهول.

وفي تلك الخطبة التي أذاعتها في نساء المهاجرين والأنصار يَظْهَرُ علمُها القوي في قوة احتجاجها على خذلانهم لأحقية أبي الحسن في أمر الأمة، وعرضت النتيجة التي كانوا سيحصلون عليها لو بادروا لذلك، ودليلَ ذلك من القرآن والسنة، ثم تقييمها لنتائج قرارهم الخاطئ.

إن قوة أسلوبها الخطابي يشبه إلى حد كبير أسلوبَ زوجها الإمام في نهج البلاغة، ولكن زوجها كان قد اعتاد اعتلاء المنابر، وأنِس مسالك الخطب، ومَرُن على ترتيب أفكارها، بخلافها فلم يُعْهَد منها ذلك؛ اللهم إلا أن يشير إلى أنها كانت قد تمرَّست على إيراد الدروس والخطب على نساء المؤمنين إلى الحد الذي جعلها متمكِّنة بذلك الشكل الرائع.

ومن خلال ذلك نعرف "أن الزهراء عليها السلام كانت تحمل علما جما، ولو امتدت بها الحياة لرأى المسلمون منها الكثير والكثير مما تفيض به من علومها التي أخذتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها كانت في حياته مع رسول الله تغرف من بحر علمه، وتتحرك في خط أخلاقه، وتعيش آفاق روحانيته؛ ولهذا كانت بضعة منه، (فاطمة بضعة مني)، فعقلها بضعة من عقله، وقلبها بضعة من قلبه، وطاقاتها بضعة من طاقاته، وروحانيتها

بضعة من روحانيته"[1].

إن معرفة الزهراء لله تعالى من خلالِ آياته، واستيعابَها القرآنَ بشكلٍ عميق، ووعيَها بسنة وسيرة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وقدرتَها الفائقةَ على التعامل مع مصادرِ التشريع هذه لمعالجة الواقع الذي عاشَتْه بأقوى طريقةٍ وأفصحِ عبارةٍ لهو دليلٌ كبير على سيادتها العلمية على نساء العالمين.

ولهذا ولكون الزهراء سيدة المعارف والعلوم .. لا غَرْوَ أن وجدنا ذريتها الطاهرين من أئمة أهل البيت الميامين يستدلون بأفعالها في المسائل الفقهية، فهذا الإمام الباقر يقول مستدلا: (وقد كانت أمنا فاطمة ترى ما ترى النساء فتقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة)[2]، ورغم أن الروايات تُسْنِد إلى رسول الله نفسِه مرة وإلى زوجها الإمام مرة أخرى أن كلا منهما عقَّ عن الحسن والحسين في اليوم السابع من مولدهما وتصدَّق بوزنِ شعرِ رؤوسِهما فضة، غير أن السجاد زين العابدين عليه السلام وغيره أيضا في رواية يُسنِدون فعل ذلك إلى الزهراء مستدلين بفعلها على سنية العقيقة[3].

لا مرية أن كانت فقيهة عالمة، وقد سمعت من رسول الله قبل زوجها في مسألة الحج، لغيابه في اليمن، فلما قدِم ببُدْنِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووجدَها قد أحلَّت، ولبِسَتْ ثيابا صَبِغا، واكتحلَتْ، ونالت من الطِّيب، فأنكر زوجُها

(١) أحمد الصفي، فاطمة الزهراء دروس وعبر، ص١٠٦.
(٢) أحمد بن عيسي، رأب الصدع، ج١، ص٦٤٦.
(٣) الحوثي، المختار، ص٥٥٧، نقلا عن صحيفة الإمام الرضا، ص٤٦٩.

ذلك عليها؛ إذ ذلك يخالف ما عليه المحرِم للحج، فقالت له: (أمَرَنا رسولُ الله فأحلَلْنا من حجنا، وجعلناها عمرة)، فذهب إلى رسول الله مستفتيا، فيما ذكرَت، فصدَّق رسولُ الله ما قالته، وقال: (صدَقَتْ صدَقَتْ)[1].

ومن أمارات فقهها الشرعي، أنها لما أنكرت على أبي بكر استيلاءَ عامله على فدك، قالت: (فدك بيدي)[2]، أي أنها ذكرت قضية هامة في التقاضي، وهو ثبوت يدها على الموضِع المُتَنازَع عليه، وبالتالي فلا يلزمُها بحكم الشرع أن تورِد الشهود على ثبوتِ ملكيتِها، ولهذا كان من الخطأ مطالبتُها بالبينة على ما هو ثابتٌ في يدها.

إن طريقة محاجَّتها لأبي بكر وعمر حول فدك، وحول ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3]، تدل على رسوخِ قدمِها في الفقه، وطولِ باعها في الحجج والأدلة.

أما علمها بالأساليب التربوية فيكفي أنها ربَّت سيدي شباب أهل الجنة، الحسن والحسين، لقد أنشأت بطريقتها التربوية أعلى مدرسة مثالية، تخرج منها الحسنان وزينب؛ ألم تكن تُزَفِّن الحسن أو تنقِّز له أو

(١) وكان علي عليه السلام قد أهل بما أهل به رسول الله، وحج رسول الله قارنا، بينما ظاهر الرواية تقول: إنها حجت متمتعة، ينظر: أمالي أحمد بن عيسى، ج١، ص٣٧٠؛ ودرر الأحاديث النبوية، ص٨٤.

(٢) الحوثي، المختار، ص٢٥٢، نقلا عن الجامع الكافي؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٦٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٥١٩.

ترقِّصه[1] عليهما السلام، وتقول ملهِمة له لاقتفاء جميلِ النموذج، وعظيمِ المثال، وهو جدُّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، كانت تقول له:

وابـــأبي شِـــبْه النبـــي ليس شـــبيهاً بعـــلي[2]

وهذا يدل على مهارتها التربوية.

وكانت تصطحب أولادَها إلى محراب عبادتها، وتعلِّمهم أنواع التهجد؛ إذ يروي الإمام الحسن عليه السلام أن والدته أجلسَتْه إلى جانب سجادتها، وهي تتضرع إلى الله تعالى، وتدعوه، وذكرت الروايات أنها كانت تعلِّم أولادَها خُطَب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما لم يبلغا الخامسة، وكانت تطلب منهما إعادة ما سمعاه من خطاب رسول الله على مسامعهما، ثم يعيدانه بحضور أبيهما. وأخذت زينب معها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ألقت خطبتها العصماء في مواجهة الصحابة[3].

ولهذا لا عجبَ أن وقفت زينب في مواجهة طغيان يزيد في عاصمة الخوف والجريمة في ذلك العصر، لتقول بكل شجاعة وثبات: (الحمدلله ما رأينا إلا جميلا)، وقد شهِدَت قتل أخيها سيدِ شباب أهل الجنة، واثنين من أبنائها البررة، وثمانية عشر قمرا من أقمار بني هاشم علت أرواحهم

---

(١) كلمات متقاربة في المعنى.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣، ط١؛ وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٧.

(٣) المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، ص٢٦.

شهداء إلى بارئهم، ورأت ذلك بأم عينها صابرة صامدة كالجبل الأشم والطود الأعظم ثباتا ويقينا.

وتدل خطبة الزهراء العصماء واستهلالها بتعظيم الله، وتقديسِه، كمثل تلك الخطبة التي بدَأَتْها في مواجهة أبي بكر: (الحمدلله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم)، ثم قالت: (الممتنع عن الأبصار رؤيتُه، ومن الألسن صفتُه، ومن الأوهام الإحاطة به)[1] – على مقدرتها البلاغية، ومهاراتها الأدبية الرائعة.

ويحكي التاريخ عن الزهراء في حالات جوهرية ظفِر بها من حياتها القصيرة أنها كانت على علمٍ ببعض المهارات الهامة، مثل أنها كانت تغزِل، وكانت تغزل لنفسها وللآخرين بالأجرة[2]، وهو أمرٌ يشير إلى أهمية كيف تكون المرأة عملا ومهارة ونشاطا.

لقد بلغ من حنكتها وحصافتها السياسية والاجتماعية أن صارت مستشارة الإمام علي عليه السلام فكان هو والزبير حين بويع أبو بكر يدخلان عليها فيُشاورانها، ويتراجعان في أمرهم، واتخذوا من دارها مقرًّا لمعارضة السلطة الجديدة[3]؛ الأمر الذي استثار السلطة الجديدة فقرَّرت

---

(١) العجري، إعلام الأعلام، ص٦.

(٢) المنصور بالله عبدالله بن حمزة، مجموع رسائل المنصور بالله عبدالله بن حمزة (القسم الثاني)، ج٢، ص٥٧٨، وصية البنات.

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣، ص٩٧٥.

الهجوم على هذا البيت.

ويسجِّل التاريخُ على نحوٍ فريد أن هذه البنت في عمر السادسة عشرة تقريبا أنه لما جُرِح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في أُحُد، وظلَّ جرحُه ينزِف، لكنها بفضل خبرتها الجراحية استطاعت إيقاف ذلك النزيف[1]، وهذا يشير إلى تفوقها على مَنْ بحضرتها في هذه القضية.

وهي التي ألهمت أسماء بنت عميس في استحداث النعش للجنائز، الذي لا زال يعمل به المسلمون حتى اليوم، فقد كرِهت ما كان عليه وضعُ حَمْلِ الجنائز؛ لهذا ألقت في فكرة أسماء لتستذكِرَ ما رأته في الحبشة، فكان استحداثُ النعش لأول مرة في الإسلام[2]، وهذا يدل على فكرها الإبداعي.

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣٢٤.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٦٧؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٥؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٧ - ١٨٩٨.

مروياتها الحديثية

في موضوع الحديث النبوي هناك روايات حديثية روَتها هي عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، ورواها عنها بعضُ الصحابة رغم قِصَرِ المدة التي قضتها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورغم أنها قضتها في عناء وشقاء.

وممن روى عنها متتلمذا عليها زوجُها وأستاذها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وولدُها الحسين عليه السلام، وزوجتا أبيها عائشة، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وأنس بن مالك، وعبدالله بن العباس، وعبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، وسلمة بن الأكوع، وغيرهم. وخرّج أحاديثَها جماعةُ المحدِّثين، وأئمتُنا الخمسة[1]، وزيد بن علي عليه السلام (ت١٢٢هـ)، والهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام (ت٢٩٨هـ)[2].

ومما روته هو ما رواه عنها ولدها شهيد كربلاء، قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفة، فقال: (إن الله باهى بكم، وغفر لكم عامة، ولعلي

(١) إذا أطلق هذا اللفظ في كتب تراجم الزيدية فيراد به الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت٤١١هـ)، وأخوه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت٤٢٤هـ)، والإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (ت٤٢٠هـ)، وولده الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ت٤٧٩هـ)، وحواري آل الرسول محمد بن منصور المرادي (ت٢٩٠هـ تقريبا).

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٣٢؛ وأبو نعيم، معرفة الصحابة، ج٢٢، ١٩٦، رقم ٦٦٩٤.

خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محابٍ لقرابتي، فقال: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياته وبعد مماته)[1]، وهو أمرٌ يشير إلى أنها استحضرت أهمية أن يُحِب الناس الإمام عليًا عليه السلام ليتخذوا المواقف الإيجابية في قضية الولاية، كما يشير إلى عظيم وفائها له.

وروى يزيد بن أخت عبدالملك النوفلي، عن أبيه عن جده، قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فبدأتني بالسلام، قال: فقالت: قال أبي: وهو ذا هو –أن من سلم عليَّ وعليكِ ثلاثة أيام فله الجنة، قال: فقلت لها: هذا في حياتك وحياته؟ أم بعد موته وموتك؟ قالت: في حياتنا وبعد موتنا"[2].

ومما روته في خطبتها في مواجهة الصحابة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُحْفَظُ المرءُ في ولده).

وعن علي عليه السلام قال: علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة أن تقول: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأستنصره، وأستعصمه، وأتوب إليه، وهو التواب الرحيم)، وقال لها: (يا بنية، من قالها مرتين غفر الله له ولوالديه، ومن قالها ثلاثا غفر الله له ولوالديه ولقرابته، ومن قالها أربعا

---

(١) المرشد بالله، الأمالي الخميسية، ج٢، ص١٣٠، ترقيم آلي؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٦٩؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٥، رقم١٨٨٧٨؛ وابن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٦٥٨، رقم١١٢١.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٥.

غفر له ولوالديه ولقرابته ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وروى عبدالله بن الحسن عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المسجد، قال: (بسم الله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك)[2]. وفي رواية قالت: (وإذا خرج قال: بسم الله، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك)[3].

وأخرج ابن ماجة بسنده عن الحسين بن علي عن أمه فاطمة، قالت: قال رسول الله: (ألَّا يلومن امرؤٌ إلا نفسَه، يبيت وفي يده ريحُ غَمَر[4])[5].

وأخرج ابن حنبل بسنده عن الحسن بن الحسن عن فاطمة عليها السلام، قالت: (دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأكل عَرْقا[6]، فجاء بلالٌ بالأذان، فقام ليصلي، فأخذت بثوبه، فقلت: يا أبه، ألا تتوضأ؟ فقال: مِمَّ أتوضأ يا بنية؟ فقلت: مما

---

(١) المرشد الله، الأمالي الخميسية، ج١، ص٤٢٤، (ترقيم آلي). ومثل هذه الأحاديث محمولة على استقامة صاحبها بطريقة الإسلام وهديه.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٣٩؛ ورواه ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) ريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه.

(٥) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج١٠، ص١٦٢، رقم ٣٤٢١؛ والنوري، المسند الجامع ج٢٠، ص١٦١.

(٦) العرْق: مصدر قولك عَرَقْتُ العظم، إذا أكلت ما عليه من اللحم، وهو أيضاً: العظمُ الذي أُخذَ عنه اللحمُ. (الصحاح في اللغة).

مسّت النار؟ فقال لي: أو ليس أطيبُ طعامكم ما مسَّتْه النارُ)[1].

وأخرج ابن حنبل بسنده عن الباقر محمد بن علي، قال: كتب إليَّ عمر بن عبدالعزيز أن أنسخ إليه وصية فاطمة، وكان في وصيتها الستر الذي يزعم الناس أنها أحدثته، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فلما رآه رجع"[2].

ومما روته عائشة عنها حديث معارضة جبريل لرسول الله بالقرآن، قالت عائشة: حدّثتني فاطمة، قالت: أسرَّ إليَّ رسول الله فقال: (إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا وقد حضر أجلي، وأنك أول أهل بيتي لحاقا بي، ونعم السلف أنا لك)، قالت: فبكيت[3]، ثم قال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين، فضكت)[4].

وفي روايةٍ عن عائشة، قالت: كن أزواجُ النبي صلى الله عليه وآله سلم عنده لم يغادر منهن امرأة، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فلما رآها رحَّب بها ثم قال: « مرحبا بابنتي »، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاء شديدا، فلما

---

(١) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣؛ والنوري، المسند الجامع، ج٢، ١٦١، رقم ١١٢٨ (فاطمة بنت محمد).

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣؛ والنوري، المسند الجامع، ج٢٠، ص١٦١.

(٣) يحمل بكاؤها هنا أنه لموت والدها، كما ورد في روايات أخرى للحديث، وليس للحاق به.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

رأى جزَعَها سارَّها الثانية فضحكت، فقلنا: خصك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نسائه بالسرار، ثم أنت تبكي فضحكتِ، فلما قامت سألتُها : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سره. فلما توفي قلت: عزمت عليك بمالي عليك من الحق لمَّا حدثتِني بما قال لك. فقالت : أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه العام مرتين، وأني لا أدري الأجل قد اقترب فاتقي الله واصبري فإني نعم السلف أنا لك»، فبكيت بكاء الذي رأيتِ، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة هذه الأمة ؟» فضحكتُ ضحكي الذي رأيتِ[1].

ويبدو مُلْفِتًا أن تكون أكثر الروايات المتعلقة بها سلام الله عليها حول الدعاء والمناجاة لله سبحانه وتعالى، فهذا سويد بن غفلة أيضا، قال: "أصابت عليا خصاصة، فقال لفاطمة عليها السلام : لو أتيتِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألتيه، فأتته، قال: وكان عنده أم أيمن، فأتته فدقّت الباب، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأم أيمن: إن هذا لدق فاطمة، ولقد أتتنا في ساعةٍ ما عوَّدَتْنا أن تأتيَنا في مثلها، قومي فافتحي لها الباب، ففتحتُ الباب، فقال: (يا فاطمة، لقد أتيتِنا في ساعةٍ ما عودتِنا أن تأتيَنا في مثلها؟) فقالت: يا رسول الله، هذه الملائكة طعامُها التهليل والتسبيح والحمد فما طعامنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ج٨، ص٣٢١، رقم٢٦٣٢؛ وأبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج١٣، ص٤٨٧؛ رقم٦٦٠١.

(والذي بعثني بالحق نبيا، ما اقتبس في آل محمدٍ نارٌ منذ ثلاثين يوما، ولقد أتتنا أعنز، فإن شئتِ أمرْنا لك بخمسة أعنز، وإن شئتِ علمتُك كلماتٍ، علّمنيهن جبريل عليه السلام آنفا)، فقالت: علِّمني كلماتٍ علَّمكهن جبريل عليه السلام، قال: (قولي: يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين)، قال: فانصرَفَتْ حتى دَخَلَتْ على علي عليه السلام، فقال: ما وراءكِ؟ قالتْ: ذهبْتُ مِنْ عندك إلى الدنيا، وأتيتك بالآخرة، فقال: خير أيامك، خير أيامك"[(1)].

وأما حديث التسبيح: فقد روي بصيغ وألفاظ متعددة، ونورد هنا مثالا يدل على ما سواه، روى طاووس عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُتِيَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِشَيءٍ مِنَ الرَّقِيْقِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِفَاطِمَةَ عليها السلام: انْطَلِقِي إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَرِيْهِ مَا بِيَدِكِ مِنْ أَثَرِ الرَّحَى مِنْ طَحْنِ الشَّعِيْرِ، وَأَخْبِرِيْهِ بِأَنَّ الَّذِي بِيَدِي نَحْوًا مِنَ الَّذِي بِيَدِكِ مِنْ مُعَاونتي إِيَّاك عَلَى الرَّحَى، وَاذْكُرِي لَهُ شِدَّةَ حَالِنَا، وَمَا عَلَيْنَا مِنَ الدَّيْنِ، وَسَلِيْهِ مَا هُنَا مِنْ هَؤُلاَءِ الرَّقِيْقِ نَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى مِهْنَتِنَا.

فَانْطَلَقَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ وَأَرَتْهُ الَّذِي بِيَدِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِ عَلِيٍّ نَحْوٌ مِنَ الَّذِي بِيَدِهَا، قَالَ: رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (وُجِّهَ هَؤُلاَءِ الرَّقِيْقُ بِوَجْهِ كَذَا وَكَذَا وَلاَ سَبِيْلَ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ سَأُعَلِمُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٣٢٨- ٣٢٩؛ والمرشد بالله، الأمالي الخميسية، ج١، ص٤٣١- ٤٣٢.

مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ)، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: (إِذَا آوَيْتِ إِلَى فِرَاشِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحِي اللَّهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِيْنَ، وَاحْمَدِيْ ثَلاَثاً وَثَلاَثِيْنَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعاً وَثَلاَثِيْنَ، ثُمَّ قُلِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْقَاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُوْنَكَ أَحَدٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَعِذْنِي مِنَ الْفَقْرِ)، قَالَ: فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم رَقِيْقٌ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ إِنْسَاناً عَلَى عَيْنِهِ فَعَلَّمَهُ الإِسْلاَمَ، وجاء به إليهم[1].

لهذا كلِّه يجبُ على فاطمة اليوم أن تكون كفاطمة الزهراء علما ومعرفة ومهارات معرفية وتربوية واجتماعية وسلوكية لتؤديَ دورَها في هذه الحياة على النحو الذي يُرْضي الله تعالى، لا سيما في تربية الأجيال المؤمنة والمجاهدة، يقول علي شريعتي ناقدا للتقصير في هذا الجانب: "لَسْتُ أدري كيف يُمْكن لشخصٍ ناقصٍ محرومٍ من نعمة العلم، والكتاب، والدراسة، والتربية، والفكر، والثقافة، والحضارة، والتربية الاجتماعية، كيف يمكن أن يكون مربيا لجيل الغد"[2].

---

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١١٧ - ١١٨.

المجاهدة .. بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم

شـاء الله أن تـشرق شـمس فاطمـة بإشراقـة الإسـلام، وأن تكـون آخـرة إخوتها، وسيدة نساء الدنيا والأخرى، لتكون النموذج للمرأة المؤمنة في هذا العصر الأخير أيضا.

إن كونها صغرى أولاده صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تولد إلا مع ولادة الإسلام نفسه، وكونَها كانـت جـزءا مـن أبيهـا وقطعـة منـه، ثـم أم أبيهـا المجاهـد، ثـم زوجـة سـيد المجاهـدين، وأم الشهيدين سيدي شباب أهـل الجنة، الحسن والحسين، فإن ذلك يعني أنها النموذج المثالي للمرأة المؤمنة، بل وللمرأة العالمية.

وفي ما سبق اتضح أنها كانت على علاقة مميَّزة بوالدها النبي الرسول المجاهد، وأنها اضطلعت بمهمة الجهاد، وهي لا تزال صغيرة، أو ليست هـي الناشـئة عـلى تقلُّبـات الحـوادث وصرَم الأيـام، التـي أنتجتهـا حركـة والدها الجهادية؟!

كانت سلام الله عليها على علاقة خاصة بوالدها صلى الله عليه وآله وسلم، وهي بضعة منه في كل شيء، حتى في جهاده صلى الله عليه وآله وسلم، ودلّت حوادث عديدة ومنها حادثة أبي لبابة بأنها بالفعل كانت تمثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس صُدفة أن يكون والدها النبي المجاهد حريصا على أن يكون آخر عهده بها حين يتحرك للسفر وإلى الجهاد، وإذا قدِم كانت هي أول الناس به عهدا، ولكأنه كان حريصا

على أن تعيش معه بيئة الجهاد وتشاركه فيه ذهابا وإيابا.

ساهمت فاطمة عليها السلام في جهادِ والدها في مكة، وسجَّل لها التاريخُ رغم صغرِ سنِّها مواقفَ رائعة تُسْعِد فتياتنا اليوم اللاتي هن بنات المجاهدين، والشهداء، وأخواتُهم، وزوجاتُهم، وأمهاتهم، وتملأ جوانحَهن بصيرة وأملا ومعنوية عالية.

فاطمة بنت الرسول المجاهد هي تلك التي وطّد أبوها معها علاقة الإسلام مع بناته العظيمات، ألم يعتبِرْ رسولُ الله السلامَ عليها وعليه في حياتها وبعد مماتها ذا خيرٍ كبير، ولُطفٍ عظيم، يتسبَّب في اكتساب الأعمالِ الصالحة، ومن ثم دخول الجنة؟[1]، وألم يجعل غضبَها غضبًا لله، وإرضاءَها إرضاءً لله تعالى؟[2].

هي تلك التي خيَّرها أبوها وهي أشد ما تكون محتاجة بين خمس أعنز وردَت للتو، أو كلمات علَّمه إياهن جبريلُ قُبَيل مجيئها إليه، فاختارت كلمات جبريل على أعنُزِ الدنيا، وهكذا المرأة المجاهدة تتَّجه لتغذية الروح أكثر من تغذية الجسد، وما أروعَ تلك الكلمات التي حَمَلَهَا جبريل، وتعلَّمَتْها فاطمة الزهراء، إنها: (يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين)، والأروع أنها لما

(١) كما تقدم.

(٢) كما تقدم.

عادت إلى علي عليه السلام وسألها عما وراءها؟ قالت: خرجتُ من عندك إلى الدنيا، وأتيتُك بالآخرة، فيردُّ علي عليه السلام عليها قائلا: (خير أيامك، خير أيامك)، أوليس الدعاء لله ومناجاته تعالى هو خير زاد للمجاهدين؟!.

وحين طلبا منه صلى الله عليه وآله وسلم خادما يعينهما على شؤون البيت، وقد مجُلت يداهما أراد لهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يعيشا حياة الكفاح، وروحية النضال، ودلَّهما على ما هو خيرٌ لهما من خادم، دلَّهما على التسبيح والتحميد والتكبير.

فاطمة بنت النبي المجاهد هي التي ندّت بها حالة في إحدى المرات إلى متاع الدنيا البسيط والمباح، فوضَعَتْ في يومٍ من الأيام على عنقها قِلادةً من ذهب، كان قد اشتراها لها علي عليه السلام من نصيبِه من الفيء، ولما زارها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآها، قال لها: (لا يَغرَّنك الناسُ أن يقولوا: بنت محمد، وعليك لبس الجبابرة) ، فماذا فعلت فاطمة المجاهدة؟.

لقد استيقظت بسرعة وتذكَّرت أنها بنتُ النبي محمد، وأنها أمُّ أبيها، وليست بنت الذهب والفضة، ولا بنت الموضات، فعادت بسرعة لتكون بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقطَعَتها، وباعتها، واشترت بها رقبة، فأعتقتها، فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1].

سر صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه تأكَّد أن فاطمة عادت لتكون بالفعل بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبي المجاهد، وتركت ما يحل لها ويباح، طلبا لعظيم ما عند الله، وحفاظا

(١) الرضا، صحيفة الإمام الرضا، ص٢٥٦.

على روحيتها المحمدية الجهادية الثائرة الزاهدة، عادت لتكون بالفعل كمحمد، وبنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا أهل بيته الأطهار المجاهدون، كأفضل وأبهى بشر يعرجون إلى مدارج العلياء، ويتسنَّمون مواطنَ الروح الفاضلة، وكلما اجتذبتهم الدنيا إليها عادوا إلى الأخرى من بوابةِ إسعادِ عباد الله، وأعظمُ ذلك عتق الرقاب.

ظلَّت فاطمة في المدينة بنتَ محمدٍ النبي المجاهد، كما كانت في مكة، وبعد أن تزوَّجت بعلي المجاهد ظلَّت كما كانت قبل الزواج، وشاركت في جميع المجالات الجهادية المتاحة للمرأة في تلك الظروف، فقد هُرِعت مع أخريات من المدينة إلى أحد بعد المعركة لمعالجة الجرحى، فعالجت أباها النبي المجاهد، واستطاعت أن توقِف نزيف دم وجهه[1].

لقد جاءت هي وأربع عشرة امرأة إلى أُحُد يحمِلْنَ الطعامَ والشرابَ على ظهورهن، ويسقين الجرحى، ويداوينهم[2]، وإذا عرفنا أنهن جِئْنَ بعد معرفتهن بهزيمة جيش المسلمين وإشاعات مقتلِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واحتمال هجوم جيش المشركين على المدينة؛ فإنه يتبيَّن لنا مقدارُ شجاعتهن وثقتهن بالله تعالى، وهن يتقدَّمْن إلى أرضِ المعركة على بعد بضعة كيلوهات شمال المدينة، ولا يَخَفْن من غائلة انحراف جيش المشركين نحو المدينة أو نحو طريقهن.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٢٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص٢٤؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٦٤، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٣٥؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص١٢٢.

وعند فتح مكة خرجت مع أبيها وزوجها، وتحكي السير أنه قد ضُرِب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خِباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل، وكانت فاطمة معه تستره، وأمرها فسكبت له غسلا فاغتسل.

وكانت تهتم بأمر المجاهدين، وتتألم كثيرا لفقد بعضهم، كما تألّمت عند ورود استشهاد ابن عم أبيها وأخي زوجها جعفر بن أبي طالب، مشارِكة لأهله في عزائهم، وتخفيفا لمصابهم. وأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ لأسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساؤها لتسليها عن المصيبة(١).

ولأنها بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي ما فتِئ يربي أمته على مكارم الأخلاق، وعلى المبادرة إلى الجهاد، فلا شك أنها بذلت ما أمكنها، وآية ذلك أنها ربَّت أعظمَ فتيَين سيدَين مجاهدَين شهيدَين، سوَّدَهما اللهُ على شبابِ أهلِ الجنة، ومنها انطلقت أعظمُ سيدة هاشمية من فتيات الجهاد، وهي زينب الكبرى.

كان الجهاد يحتل مكانة مقدَّسة في وعي فاطمة، كما هو شأنه في الإسلام، أليست هي القائلة في خطبتها في وجه أبي بكر، وهي تعدِّد حُكْمَ تشريعاتِ الإسلام، فقالت: (والجهادَ(٢) عزًا للإسلام)، ويدل على وعيها الجهادي أنها قرنت الجهاد الذي منه القتال في سبيل الله، بالصبر، وبالأمر

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٨١.

(٢) معطوف على المنصوب قبله، أي (وجعل الجهاد عزًا للإسلام).

بالمعروف، وتعليل ذلك بـ(عز الإسلام).

ظلَّت الزهراء وفية لأبيها ولحركته الجهادية، وظلَّت بنتَ محمدٍ كما أراد صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولكأن العناية الإلهية أرادت لها أن تكون قريبة إليه في الدنيا والآخرة، وهو ذلك الذي كان يشتاق إليها دائما، ويجعلُها آخِرَ مَنْ يودِّع إذا سافر، وأولَ من يستقبِل إذا قدِم، فكانت بالفعل هي آخرَ مَن ودَّعهم في حياته، وكانت هي أيضا أولَ من استقبل منهم في الآخرة؛ إذ كانت أول أهل بيته لحاقًا.

ولما اشتدَّ به المرض قبيل وفاته قالت: واكرباه لكربك يا أبتاه، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم[1]، ولما أسرّ إليها أنه سيغادر الحياة بكت، لكنه لَمَّا أعلمها أنها أول اللاحقين به وأنها سيدة نساء المؤمنين ضحكت[2].

ظلت فاطمة - كما أرادها والدها - بِنْتَ محمد، صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولهذا لما منعَتْها سلطةُ الخلافة ما نحَلَها أبوها في فدك، وميراثَها في المدينة وخيبر، اعتبرَت ذلك تفريقا بين فاطمة وأبيها محمد، فقالت: (أترث أباك يا ابن أبي قحافة ولا أرث أبي؟!)[3].

أليست هي فاطمةَ بِنْتَ محمد!! فكيف يريدون محمدا بلا فاطمة، وكذلك كيف يريدونها فاطمة بدون محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

(١) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٤٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٥١.

موقفها من الشهداء

كانت سلام الله عليها تهتم بأمر المجاهدين، وبالشهداء منهم، فلما استُشْهِد عمُّ أبيها حمزة بكت، فانهلّت دموع أبيها لبكائها[1]، ومعنى ذلك أنها كانت تشعر بحالة الجهاد، وتعاني من فقد رجالات الإسلام العظماء؛ لكنها لم تكتف بالانفعالات الوجدانية على أسدِ الله عمِّ أبيها حمزة، بل تحرَّكت في أنشطة عملية رائعة تخلِّد ذكرى الشهداء، وتقدِّس قضاياهم، وتجعلُهم قدواتٍ نموذجيةً للأجيال المسلمة.

لقد كانت سلامُ الله عليها تأتي قبورَ الشهداء غداة كلِّ سبت، وكانت تأتي قبْرَ حمزة وتزوره وتقوم عليه[2]، بل كانت أيضا: "ترمه وتصلحه"[3].

وفي ذلك ما فيه من إحياء قضية الجهاد، وتربية الأجيال على حبِّه وحبِّ الاستشهاد في سبيل الله، ويسلِّط الضوءَ على أهمية الاهتمام بروضات الشهداء، إحياءً لقدسية الجهاد، وفضيلة الشهادة، وهكذا يصنع المربون للأجيال؛ إذ يدلونهم على الاهتمام بما يربي فيهم خصال الكمال، وفضائل الأعمال. وإصلاحها لقبور الشهداء ورمُّها لها بقدر ما

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧.
(٢) الحوثي، المختار، ص٢٠٥، نقلا عن الجامع الكافي.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٦٨.

يشير إلى اهتمامها بهم وبقضيتهم، يشير أيضا إلى مهاراتها المتنوعة في حياتها الاجتماعية.

وهكذا لا تعدَمُ المجاهدة اليوم المواقفَ والأنشطة والأعمال التي يتطلَّبها إحياءُ قضية الشهداء وما استُشهِدوا عليه؛ لكي تكون فاطمية الوجدان، زهرائية السلوك.

أم أبيها .. ولماذا؟

أضفي على هذه المرأة الاستثنائية كنية استثنائيّة وفريدة لم نعهدْها لامرأة أخرى؛ إذ كناها الرسول ﷺ والدُها بـ(أم أبيها)، وروي ذلك عن الباقر[1]، قال النووي في كتاب تهذيب الأسماء واللغات: وذُكِر أن النبي ﷺ كناها أم أبيها، وقال: "فيه ما ينوِّه بمقامها غاية التنويه"، إلى قوله: "فحيث نزَّلها أكرمُ الخلائق من نفسه الكريمة منزلة أكرم الخلق عليه"[2].

غير أن تنزيله ﷺ لها في الحديث المشهور (فاطمة بضعة مني)، أو (فاطمة شجنة مني)، ليس أقلَّ من هذا التنزيل؛ حيث نزّلها هناك كجزء من نفسه، وهو النبي المرسل، الذي لا ينطق عن الهوى، فهل أراد الرسول ﷺ أن يكون هذا وصفا شرعيا يترتَّب عليه أحكامٌ أخرى؟

قبل أن نحاول الإجابة على ذلك نجيب على السؤال القائل: لماذا قال عنها: (أم أبيها)، ولم يقل: (أمي)، أو (أم محمد)، أو (أم الرسول) أو (أم النبي)، ويبدو أنه إنما أراد القطع على سؤالِ الاستغراب القائل: كيف تكون أم محمد، أو أم الرسول، وهو في الواقع أبوها؟

إن علاقة فاطمة بوالدها الرسول علاقة مزدَوَجة؛ ففيها من الحيثيات

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٢، باب الحسن بن علي.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٦٣.

ما جعلها ابنته، وهذه هي الحقيقة العرفية والشرعية، وقد أرادها في محطات كثيرة أن تكون ابنته كذلك، ولكن فيها أيضا من الحيثيات الكثيرة ما يجعلها بمثابة أمه، أو مثَل أمه صلوات الله عليهم أجمعين.

كثيرٌ من تصرفاتها معه تشير إلى حنانها وعطفها عليه كحنانِ وعطفِ الأمهات على أولادهن، فقد كانت تهتم به اهتمام الأم بولدها، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذى المشركين، وتخفّف آلامه وتضمد جروحه، وتمسح الدم عن وجهه في الحرب، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلى استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه[1].

"لقد شاهد الناسُ هذه البنتَ الصغيرة، وهي تقف إلى جانب أبيها البطل، تزيل عنه الأذى، وتنثر مقلتاها أمزانَ القلق على مصيره، وتتحرك بلطف مواسيةً له في المصاعب كلها، بكلمات وتصرفات بريئة وحنونة، بروعة وجمال وجلال"[2].

في غزوة أحد أسرعت إليه فضمدت جروحه، ومسحت عن وجهه الدم[3]، ولما ندم المشركون أنهم لم يقضوا نهائيا على المسلمين بعد هزيمتهم، وأزمعوا العودة، نزل أمر الله للمسلمين بالإسراع في مواجهتهم على ما

---

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٣٧.

(٢) شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص١٤٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٣٥؛ ومسلم، الصحيح، ج٣، ص١٠١، رقم١٤١١١؛ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٢٤؛ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص٢٤؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٦٤، ؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص١٢٢

على ما بهم من الجراح وفراق الشهداء، وهنا بادرت (أم أبيها) لتجهيز (ولدها) بالسلاح، وأعدَّته له، كفعل المؤمنات اليوم مع أبنائهن وهن يجهِّزنَهم إلى الجبهات.

وكانت تُقَبِّل عليه بأقراصِ الخبز إذا جاع، كما فعلت يوم الخندق[١]، وفي فتح مكة ضَرَبَتْ له خيمتَه، وهيَّأت له ماءً للاستحمام والاغتسال ليزيل عن جسده غبار الطريق، ويرتدي ثيابا نظيفة يخرُج بها إلى المسجد الحرام[٢] كما تجهِّزُ الأمُّ ولدَها.

وكان إذا عاد من سفره بادر إلى بيتها، فتتلقاه على باب البيت، وتبكي إذا رأته "شعِثا نصِبا، قد اخلولقَتْ ثيابُه"، فكان رسولُ الله يطمئِنُها، وقد قال لها مرة: "لا تبكي، فإن الله قد بعث أباك بأمرٍ لا يبقى على وجه الأرض بيتٌ ولا مدرٌ، ولا حجرٌ، ولا وبرٌ، ولا شعرٌ، إلا أدخله الله به عزا أو ذلا، حتى يبلغ حيث بلغ الليل"[٣]، ولكأنه هنا يخاطب بهذه الكلمات أمهات المجاهدين الذين يبتغون العزة من الله لا من أعدائه.

ومنذ توفي صلى الله عليه وآله وسلم ما رؤيت ضاحكة ولا متبسِّمة، إلا يومَ صنعت لها أسماءُ بنتُ عميس النعْشَ قُرْبَ وفاتها[٤]، وسمعت بلالا يؤذِّن حتى إذا بلغ: (أشهد أن محمدا رسول الله) شهقت وسقطت لوجهها وغشي عليها

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣١٢.
(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٦١؛ والذهبي، المغازي، ص٥٥٥.
(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٢٢.
(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٨.

حتى ظن أنها فارقت الحياة[1]، وقيل: إنها كمدت عليه، فلم تلبث بعده إلا قليلا[2]. ويحمل أيضا على أنها كمدت على ما أصاب الإسلام من مخالفات خطيرة.

وكانت تتمثل بعد وفاته بهذه الأبيات:

قد كان بعدك أنباء وهينمة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

إنا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها ... واختلَّ قومُك فاشهدْهم فقد نُكِبوا

فسوف نبكيك ما عِشْنا وما بقيَتْ ... من العيون بتهمالٍ له سُكُبُ[3]

هذه مواقف ومصادر توحي بأن فاطمة الزهراء بالفعل هي (أم أبيها).

غير أن أمرا هاما يجب التركيز عليه في مصداق هذا اللقب، ولعله هو المقصود منه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث تعيدنا سببية نزول (إنا أعطيناك الكوثر)، من أنها نزلت عليه حين عيَّره العاص بن وائل السهمي بأنه أبتر، ليس له ذكور، فرزقه الله هذه الأنثى التي منها الذرية الكثيرة والمباركة، والتي سماها القرآن الكوثر، والذي يعني الكثرة والامتلاء والبسط والامتداد والحياة المستمرة، وهذا لم يحصل إلا في ذريته منها سلام الله عليها.

ذكر السيد العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي تفسيرا لطيفا دلالة لكنيتها (أم أبيها)؛ إذ قال: "وإذا كانت فاطمة بمنزلة الأم كان المختار

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٧٧.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٦٧.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٢.

بمنزلة الولد، فيكون عقبُها كما لو كانت أُمًّا له صلوات الله عليه وآله وسلم، وأعقبت منه، فإن أولاده حينئذ أولادها لا محالة، وهذه دقيقة جليلة"[1].

ويشهد لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما)، وفي رواية (إلا بني فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم)، وفي أخرى: (إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)، وفي رواية: (ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)[2].

قال في الروض النضير بعد أن ساق الأخبار الدالة على أبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لولد فاطمة عليها وعليهم السلام: "قال بعض المحققين من العلماء: ظاهرُ كلامِ أئمتنا أنه حقيقة، وأن حكمه في ذلك يخالف حُكْمَ غيره ... ويدل على كونها حقيقة قولُه صلى الله عليه وآله وسلم: (وأنا عصبتهما)[3].

وقد جعل القرآن الكريم ولد البنت عيسى بن مريم عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأنعام:٨٤].

إن هذا هو تفسير (أم أبيها)، فتلك الأنثى التي ابتدأت بأنها (بنت

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

محمد)، انتهت وانتهى بها الإسلام إلى أن تكون (أم أبيها) محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليكون أعلام الهدى وأئمة الجهاد والتقى من أهل بيته قرناء القرآن، والثقل الأصغر من ذريته؛ إذ هم من ذريتها.

وبهذا يكون الله قد حفظ ذريته صلى الله عليه وآله وسلم في ذريتها، وجعل عقبه من عقبها، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري)[1].

وبعد هذا أليست الزهراء (أم أبيها)؟

(١) ابن حنبل، المسند، ج٤، ص٣٢٣، رقم ١٨٩٢٧؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص٢٥، رقم٣٠؛ والحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٧٢، رقم ٤٧٤٧.

زوجة علي عليه السلام

لم تكن فاطمة تلك المرأة التي صادفَتْها تلك المميزاتُ العظيمة وهي تنحشر في زاوية من بيت أبيها تعبد الله، ولا تريد أن تعالِج شأنا من شؤون الحياة، عازفة عن الزواج، راغبة عن مسؤولية الزوجية، والأمومة؛ لأن تلك هي الرهبانية التي لا يعرفها دين أبيها، وهي نوعٌ من أنواع الهروب من المسؤولية العبادية والجهادية في الإسلام.

لقد كانت فاطمة زوجة وأما وحماة مثلما كانت بنتا لأبيها وأما له أيضا، وكانت عضوة فعالة في مجتمع الإسلام؛ لذلك لا غروَ أن استحقت أن تصل إلى مرتبة السيادة على نساء العالمين، وعلى نساء الأمة ونساء أهل الجنة.

بلغت الزهراء في المدينة مبلغ النساء الصالحات للزواج، وتجاوز سنها خمسَ عشرة سنة، وهنا لو بحث الناس حينها عن الزوج المناسب الذي يصلح لفاطمة وتصلح له حق البحث لما وجدوه إلا عليا عليه السلام، وهو ما أمر به الله تعالى، لتضيف فاطمة بنت محمد إلى أوصافها الجليلة: (زوج علي)، ثم (أم الحسنين وزينب).

إنه لجدير ببنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون زوجة علي عليه السلام، غير أنها في كل الأحوال يجب أن تبقى (أم أبيها) لتكون أم أبنائه الميامين.

الكثير من الصحابة توقَّع أن هذه العقيلة المحمدية لا تصلح إلا لذلك الفتى الطالبي، وهو الفتى الذي طالما أظله ظلال بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ وقت مبكِّر، وتغذَّى فيه بغذاء العقل والروح بجانب غذاء البدن، وما توقَّعه الكثير فقد باركه الله أيضاً.

في ليلة الإسراء في السنة ١١ من البعثة، أعلم الله نبيه بأن خليفته هو علي عليه السلام، وأنه أبو سبطيه، وزوج فاطمة خير نساء العالمين(١)؛ ولهذا ما إن بلغت فاطمة مبلغ الزوجات حتى بادر إلى خطبتها كبارُ صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم أبو بكر، وعبدالرحمن بن عوف، وعمر، وعددٌ من أشراف قريش(٢)، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرهم أن هذا الزواج من شأن العناية الإلهية، فقال لهم: (أنتظر القضاء)(٣).

ويبدو أن الحياء، وقلة ذات اليد، وتهيُّب مفاتحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو ما منع عليا عليه السلام من طَرْقِ باب المصطفى خاطبا لهذه الشريفة المطهرة، ولما ردَّ رسولُ الله أشرافَ قريش تأكَّد أن عليا هو الاختيار المناسب لفاطمة عليها السلام؛ لذا حرَّض البعضُ عليا عليه السلام على التحرُّك لخطبة فاطمة عليها السلام(٤).

---

(١) الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص٣٦٢.

(٢) أبو طالب، الإفادة، ص٢٠، وابن الأمير، الروضة الندية، ص٢٤٨، نقلا عن ذخائر العقبى.

(٣) أبو طالب، الإفادة، ص٢٠.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى، ج٢، ص٧٠.

ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أرسل رسائل صريحة مهّدت الطريق لعلي عليه السلام، عقب نزول أمر الله بتزويج فاطمة منه، فقد روى عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن الله أمرني أن أزوِّج فاطمة من علي عليهما السلام)[1]، وروى الإمام علي عليه السلام في حديثٍ صحيحٍ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أتاني مَلَكٌ، فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إني قد زوَّجت فاطمةَ ابنتَك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوِّجْها منه في الأرض)[2]، وأراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيِّن موقفه في ردِّه للخطاب، لما قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الإمام علي عليه السلام نفسه: (إنما أنا بشر مثلكم أتزوَّج فيكم وأزوِّجكم، إلا فاطمة، فإنها نزل تزويجها من السماء)[3].

إذن لم تكن المسألة خاضعة للاختيار البشري، بل هناك عناية إلهية خاصة بهذا البيت وتهيئته لمهماتٍ جسام، وأعمالٍ عظام، إنها استثنائية فاطمة، وبيتها الذي أجرى الله منه كوثر المصطفى، وأخرج أعلام الهدى ليقيموا منار الحق، ويعلنوا أحكام القرآن على مدار الأزمان، إنه اختيار الله عز وجل وقضاؤه وخيرته، وآية كونه زواجا إلهيا جلالة بساطته، وعِظَم أخرويته، إنه زواج النبيين والصديقين والمجاهدين.

---

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٨٩؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٩؛ والطبراني، المعجم الكبير، ج١٠، ص١٥٦، رقم١٠٣٠٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠٤: رجاله ثقات.

(٢) صحيفة الرضا، ص٩٤.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٧؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٣٢.

سنها عند الزواج؟

تفاوتت الروايات والمصادر حول تحديد سن زواج فاطمة عليها السلام، وأغربُها تلك التي ترجِّح أنها زُوِّجت في السنة الثانية من الهجرة، بينما تحدِّد سنَّ ولادتها بالسنة الخامسة للبعثة، وهذا يعني أنها تزوجت وعمرها تسع سنوات تقريبا، وأنجبت الحسن عليه السلام، وعمرها عشر سنوات، وهناك رواياتٌ تجعل ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، وعليه فسن زواجها يكون تسع عشرة سنة تقريبا، غير أن ما يترجح لدى الباحث هو أن عمرها كان خمس عشرة سنة تقريبًا؛ لعددٍ من الأدلة والقرائن.

أولًا: لأنه لن يبادِرَ الخطّابُ إلى خِطبة صبية صغيرة، كما لن يتأخَّروا على عقيلة محمدية كفاطمة سنة أو سنتين من بعد بلوغها خمس عشرة سنة، وكنا قد رأينا كيف أن كبارَ أشراف قريش بادروا لخطبتها، وسارعوا إلى التشرف والفوز ببنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم تحدِّدُ بعض المصادر الموثوقة سنَّها كما ترجح لدينا، وهو خمس عشرة سنة، ففي رواية عن الإمام القاسم بن إبراهيم أن عمرها كان أربعَ عشرة

سنة[١]، لكنه يحمَل على سن خطبتها وليس البناء بها، وأن البناء لم يتم إلا وهي في خمس عشرة سنة، ويرجِّح ذلك أنه تم في روايةٍ تحديدُ عمرها تحديدا دقيقا، وهي خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، ونصف[٢]، وإذا كانت قد توفِّيَتْ وعمرُها ثلاثٌ وعشرون سنة، بحسب رواية الباقر عليه السلام[٣]، وأن الإمام عليا عليه السلام بنى بها في السنة الثانية من الهجرة؛ فهذا يعني أن عمرها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر تقريبا كما ذُكِرَ في تلك الرواية المفصَّلة، وكما أكَّدَتْ ترجيحَ ذلك قرائنُ مرَّ ذكرها في مواضع متعددة.

وهكذا يكون الإمام عليه السلام خطبها في صفر سنة ٢ من الهجرة، لكنه بنى بها بعد معركة بدر بأربعة أشهر في ذي الحجة[٤].

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٨.
(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٢٦.
(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٩.
(٤) أبو طالب، الإفادة، ص٢٠؛ ويقارن أبو العباس الحسني، المصابيح عن الإمام القاسم بن إبراهيم، ص٢٣٢.

خِطبتها

انطلق الإمام عليه السلام ليخطب فاطمة وكانت قد حثَّته مولاةٌ لهم قائلة له: إن فاطمة قد خُطِبَت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يمنعُك أن تخطبَها؟ قال: فقلت: وعندي شيء أتزوَّجُها به؟ فقالت لي: إن أتيتَه زوَّجك، فما زالت توبِّخني حتى أتيتُه، فدخلتُ عليه، فقال لي: (ما جاء بكَ وما حاجتُك؟ لعلَّك جئتَ تخطبُ فاطمة؟) قال: قلتُ: نعم يا رسول الله[1].

ولا تحكي الروايات التي اطَّلَعْتُ عليها أيًّا من الأغرام أو التكاليف التي أرْهقَ أهلُ هذا الزمانِ عاداتِهم الاجتماعية بها بما صعَّب الزواج وبعْده، بل تحكي التيسير والتسهيل لبناء بيوتِ العفافِ والطهارة، وهو ما يتناسب مع التعاليم التي أطلقها الإسلام، وحث عليها في التيسير والتسهيل وقلة المؤنة.

---

(١) أحمد بن عيسى، رأب الصدع (الأمالي)، ج٢، ص١٠٢٠.

إيذانها

عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما خطب علي فاطمة عليها السلام أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: "إن عليا قد ذكركِ"، فسكتت، فخرج فزوَّجه بها[1].

وهـذا درس هـام يجب أن يتعلمـه الأهلـون عنـد تـزويج بنـاتهم، فعـلى الأب أن يستأمر ويشاور ابنته؛ لأن هذه حياتها، ولها الحق في تأمين حياتها بما يتناسب والقيم والمبادئ الإسلامية العادلة، كما للولي الحق في ترشيد عملية الاختيار على ضوء تلك المبادئ أيضا، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور فاطمة التي قد أمر الله عز وجل بتزويجها، تعليما لأمته أن يسلكوا الطريق المرضي والآمن في هذا الجانب من الحياة.

---

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ص٢٩، ٣٣؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٠؛ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٣٠٨.

مهرها

وهاكنَّ مقدار مهر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدة نساء العالمين، أيتها الأخوات والبنات، لتعلمن هديَ المصطفى في مهر بنته الحوراء سيدة نساء الدنيا والأخرى، وأن البركة في أقلِّ النساء مؤنة ومهرا، كما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الطاهرين.

هناك روايات تذكُر أن مهرها كان أربعَ مئة مثقال فضة[1]، وقيل: اثنا عشر أوقية فضة، أي ٤٨٠ مثقالًا، غير أن الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام هو أنه كان اثني عشر أوقية ونصف أوقية، تبلغ ٥٠٠ درهم[2]، والدرهم هو مثقال فضة.

وهذا الصحيح في مرويات أهل البيت عليهم السلام هو أكثر ما ذكرته كتب التاريخ من صداق فاطمة عليها السلام؛ فقد روي أنه لما جاء علي عليه السلام قال له: أعطِها شيئا، فقال: ما أجِدُ شيئا، قال: فأين درعك الحطمية[3]، التي سلَّحْتُكها؟ فقال: هي عندي[4]، فأمره ببيعها، فباعها باثنتي عشرة

---

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٨٩؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٣٩؛ وأحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج٢، ص١٠٢٠.

(٢) ينظر الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص٣٠٣؛ وأحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج٢، ٩٨١، ١٠٢٠؛ والمؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٨.

(٣) دروع تنسب إلى رجل كان يعملها، وقيل: هي التي تَحْطِمُ السيوف أي تكسرها، وقيل هي العريضة الثقيلة، وقيل: منسوبة إلى بطْنٍ من عبد القيس يقال لهم حُطَمَةُ بنُ محاربٍ كانوا يعملون الدروع. ابن منظور، لسان العرب، مادة حطم.

(٤) أحمد بن عيسى، رأب الصدع، ج٢، ص١٠٢٠.

أوقية[١]، وفي الرواية الصحيحة أيضا: أن صداقها كان جُرْدَ بُرْدٍ حِبَرَة[٢] ودرع[٣]، والدرع هو تلك الحطمية، وبهذا يتبين أن الـ(١٢.٥) أوقية، والتي تساوي خمس مئة درهم هي مجموع ثمن بيع البُرْد والدرع.

قال الإمام علي عليه السلام: (أنكحني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة على اثنتي عشرة أوقية ونصف من الفضة)[٤].

إن قلة المهر أدب من آداب الإسلام، وها هي فاطمة عليها السلام وهي سيدة النساء، ومثلُها جميعُ زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان مهرُهن ذلك المهرَ الذي لم يتجاوزْ الـ(٥٠٠) درهم[٥]، أي بما يساوي ٢٠ ألف ريال يمني تقريبا، قبل حوالي ١٥ سنة مثلا، يوم كان القرش الفرانسي بـ٥٠٠ ريال يمني[٦].

---

(١) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج١، ص٣٦٢، رقم٤٧٠؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٣٣٢، رقم١٥٢١١.

(٢) برود حبرة: ضرب من البرود يمانية، يقال: برد حبير، وبُرْدُ حِبَرَة، يطلق بالوصف والإضافة، والحبير من البرود: ما كان موشيا مخططا، والجرد من الثياب: ما انسحق ولان.

(٣) أحمد بن عيسى، رأب الصدع ج٢، ص١٠٢٤، والحوثي، المختار، ص٣٤٢.

(٤) الإمام زيد، مسند الإمام زيد بن علي، ص٣٠٣؛ والحوثي، المختار، ص٢٤٠.

(٥) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج٢، ص٦٤.

(٦) فإذا عرفنا أن نصاب الفضة للزكاة كما هو مقرر في الفقه الإسلامي ٢٠٠ درهم، وأنه صار معروفا أنه ١٦ ريالًا فرانسي إلا ربعًا، وإذا افترضنا أن الريال الفرانسي بـ٥٠٠ ريال كما كان قبل حوالي ١٦ سنة، فإن ذلك يعني أن الـ(٥٠٠ درهم) مهر فاطمة تصير بحوالي (١٩ألف ريال)، ومع مراعاة انخفاض سعر الصرف للعملة اليمنية هذه الأيام، والفارق في القدرة الشرائية للفضة بين زمن فاطمة عليها السلام وزمننا هذا، فإن هذه النتيجة تقريبية.

ولا يعني قلة المهر بأي حالٍ من الأحوال بخسَ المرأةِ لحظها، كما ليس في المغالاة في المهور أيُّ تكريم لها؛ وصدق الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت٤١١هـ) إذ يقول: "وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوّج ابنته فاطمة على صداقِ خمسِ مئةِ درهم، وهي سيدة النساء، وقد علمنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليبخَسها حظها"[1].

(١) المؤيد بالله، شرح التجريد، ج٣، ص٩٦، باب القول فيما يصح أو يفسد من النكاح.

خُطبة العقد

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمعا من أصحابه ليُشْهِر فيهم عَقْدَ زواج علي عليه السلام من فاطمة، وخطب صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (الحمدلله المحمود بنعمته، المعبود لقدرته، المطاع لسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمرُه في سمائه وأرضه، ثم إن الله عز وجل أمرني أن أزوِّج فاطمة من علي، فقد زوَّجتُه على أربعِ مئة مثقال فضة[1]، إن رضي بذلك علي)، وكان علي عليه السلام غائبا في حاجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم دعا بطبق فيه بُسر، فقال: (انتهِبوا)، وبينما كان الحاضرون ينتهِبون إذ دخل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي أما علِمْتَ أن اللهَ أمرني أن أزوِّجَك فاطمة، فقد زوجتُكها على أربعِ مئةِ مثقال فضة إن رضِيْتَ)، فقال عليه السلام: رضيتُ عن الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (جمع الله شملَكما، وأسعَد جدكما، وأخرج منكما كثيرا طيبا)[2]. قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب[3].

---

(١) هذا لا ينافي ما تقدم، فربما تذكر الرواة العقد في المبلغ وغفلوا عن الكسور، وربما حسبوا ثمن الدرع فقط، ولم يحسب قيمة بقية الأشياء مثل البرد الحبرة، وغيره، أو هكذا بدأ المهر ثم انتهى بها يساوي ٥٠٠ درهم.

(٢) أبو طالب، تيسير المطالب، ص٨٩- ٩٠؛ وأبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٣٣؛ وابن الأمير، الروضة الندية، ص٢٤٨.

(٣) ابن الأمير، الروضة الندية، ٢٤٨؛ وقال: أخرجه القزويني الحاكمي.

جهاز بيتها

من المهم جدا أن تعرف المرأة المسلمة اليوم ما هو الجهاز الذي جُهِّزَ به بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وبنتُ خيرِ النبيين، وزوجةُ سيد الوصيين، وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين.

لقد جُهِّزَ بيتها سلام الله عليها بخميلٍ[1]، وقِرْبة من جِلدٍ للشُّرب، ووسادة من أدَمٍ (جلد) حشوُها ليفُ إذخَرٍ[2]. أما الفراش فقد كان جلدَ كبشٍ، كانا يقلِبان صوفَه فيفترشانه[3]، وكان هذا الفراش له عددٌ من الوظائف فكانا ينامان عليه الليل، ويعلِّقان عليه الناضح في النهار[4]، وربما عجنت على طرفه الزهراء كما سيأتي.

وأما (موكيت) بيتِهم فلم يكن سوى رمْل من بطحاء الروحاء جاؤوا به فبسطوه في البيت، بالإضافة إلى كُوزٍ وجرَّة، ورحاءٍ، وسقاء[5]، وكان

---

(١) الخميل: قطيفة ذات أهداب، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان.

(٢) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج٢، ص٧٣؛ وينظر أحمد، المسند، ج٢، ص٢٨٤، رقم٧٧٨؛ والنسائي، السنن الكبرى، ج٥، ص١٤٤، رقم٨٥١٠؛ والحاكم، المستدرك، ج٦، ص٣٦٩، رقم ٢٧٠٥. والإذخر: نبات طيب الرائحة.

(٣) ينظر أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج٢، ص٦٤، رأب الصدع، ج٢، ص١٠٢٤؛ والحوثي، المختار، ص٥٠٠.

(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٢٩؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٣٥.

(٥) ابن حنبل، المسند، ج٢، ص٢٨٤، رقم٧٧٨؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٣٣٦، رقم ٥٢١٦.

أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد قبض دراهم من مهرها وأمر بأن يُشْتَرَىٰ لها طيب[1].

وعُرِضَ عودٌ في جانبِ بيتِ علي عليه السلام ليُلْقِيَ عليه الثوبَ، ويُعَلِّقَ عليه السقاء[2].

وكان هذا دأب أبنائها من أعلام أهل البيت عيهم السلام؛ فهذا الإمام يحيىٰ بن حمزة عليه السلام، كان يفْتَرِش بساطا خلِقا[3]، فقيل له: لو أخذت بساطا جديدا، فقال: لو شئْتُ أن يكون بساطي من ذهبٍ لفعلْتُ، ولكن لنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جهَّزَ ابنتَه سيدة نساء العالمين، ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجة سيد الوصيين بوسادة من أدَم، حشوُها ليف، وإهاب كبش، كانت فاطمة عليها السلام تعجن علىٰ ناحية، وينامون علىٰ ناحية، وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يُنْثَر في بيتهم ليلةَ بنىٰ علي عليه السلام بها من بطحاء الروحاء[4].

هذا هو بيتُ فاطمة عليها السلام، لتتعلم منه المرأة اليوم دروس العزة والكرامة، وكيف تُصْنَعُ السعادة والعظمة من البساطة والقناعة، وفي ذلك حلٌّ كبير لمشاكل اجتماعية جمَّة، نتجت عن الصعوبات التي وَضَعَتْهَا انحرافاتُ الوعي الاجتماعي الإسلامي اليوم، وكانت ولا زالت تهدِّد نسيجَ الأمة وتماسكها.

---

(١) الطبري، ذخائر العقبىٰ، ص٣٤؛ وابن حبان، الصحيح، ج٢٨، ص٤٢٩، رقم٧٠٧٠.

(٢) ابن ماجة، السنن، ج١، ص٦١٦، رقم١٩١١.

(٣) باليًا غير جديد.

(٤) صلة الإخوان، -خ- الفصل السادس، مكارم الأخلاق.

في هذا البيت البسيط والمتواضِع بهذا الجهاز كان يبتهِج سيدُ الأنبياء والمرسلين، وسيدُ الأوصياء والمتقين، وفيه الزهراء، سيدة نساء العالمين، وفيه وُلِدَ وتربَّى سيدا شبابِ أهلِ الجنة، وزينب الكبرى، وأم كلثوم بنتا الزهراء، وهو البيت الذي كان يمر عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فجْرَ كلِّ يومٍ لعدد من الشهور، إذا خرج لصلاة الصبح، فينادي: (الصلاة الصلاة ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[الأحزاب:٣٣])، وهو البيت الذي لكرامة الله أمر بسد أبواب بيوت الصحابة المشرعة إلى المسجد إلا بابه.

فهل ترون أيها الأزواج .. وهل ترين أيتها الزوجات .. هذا الجهاز المتواضع قَصُرَ بهذا البيت عن أن يبلغ قمة الشرف، وغاية السعادة؟!.

وليمتها

أولم علي عليه السلام في عرس فاطمة تلك الوليمة، التي لا مراءاة فيها ولا مكاثرة، وظلَّت تلك الوليمة أفضلَ الولائم في نظرِ مَنْ حضرها من الصحابة، كما روي عن بنت عميس[1]، وجابر الأنصاري[2].

ذهب الإمام عليه السلام ليَرْهَنَ دِرْعَه عند يهودي في شَطْرِ شعير[3]، واستعدَّ بعضُ الصحابة من الأنصار للتعاون في هذه الوليمة، فقال سعد: عليَّ كبشٌ، وقال فلان: عليَّ كذا، وقال فلان: عليَّ كذا[4]، وجمعَ له رهطٌ من الأنصار آصُعا[5] من ذرة[6].

كان عماد تلك الوليمة كما في رواية عند أهل البيت عليهم السلام - الحيس[7]، وهو طعامٌ يُتَّخَذُ من التمر، والإقط، والسمن، وقد يستعاض الإقط

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣، عن الدولابي

(٢) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٤، عن أبي بكر بن فارس. والرواية تقول: إنها أسماء، ولكن يترجح أنها سلمى أختها كما سيأتي.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٤، ص١٤٥، رقم ٢٠٤٠٤؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٤.

(٤) ابن حنبل، المسند، ج٥، ص٣٥٩، رقم٢٣٠٨٥؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣.

(٥) أي عدد من الصيعان، حيث يجمع صاع على أَصْوُعٍ وَصِيعَانٍ، وَأَمَّا آصُعٌ فَقَلْبُ أَصْؤُعٍ بِالْهَمْزَةِ لِضَمَّةِ الْوَاوِ كَآدُرٍ فِي أَدْؤُرٍ. ويقدر الصاع بأربعة أمداد بكف الرجل المتوسط.

(٦) النسائي، السنن الكبرى، ج٦، ص٧٣، رقم١٠٠٨٨؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣.

(٧) العجري، إعلام الأعلام، ص٢٣٢.

بالـدقيق أو الفتيـت، وهـو طعـامٌ كانـت المدينـة تتكفَّـل بمـوادِّه الأساسـية، كالتمر، والسمن، أو الإقط، والفتيت، والدقيق.

غير أن هناك روايات تُثْبِتُ أن هناك أصنافا أخرى في الوليمة، ومنها الزبيـب[1]، وورد أن وليمتـه كانـت آصـعا مـن شـعير، وتمـر، وحـيس[2]، ويظهر أن كبش سعد[3] بالإضافة إلى شاةٍ أمَرَ رسولُ الله بلالا بجلبها[4] كانا لحم هذه الوليمة، في أكثر الاحتمالات.

وحدَّدت بعضُ الروايات كمية المطعومات فيها بآصُع[5]، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا المهاجرين والأنصار إلى وليمة ابنته، وأدخلهم دفعة دفعة، وببركته صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزةً له أكلوا وشبعوا جميعا، وإن كان كما يبدو لم يحضُرْ جميعُهم، بل حضر مَنْ كان قريبا من مكان الوليمة في بيت رسول الله[6]؛ لأن المدينة كانت أحياؤها متوزعة بين منطقتي العالية والسافلة فيها.

وكانت هناك وليمة أيضا خاصة بالنساء خصوصا نساء الأنصار، فقد

---

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٤، وقال: أخرجه أبو بكر بن فارس.

(٢) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣، عن الدولابي.

(٣) ابن حنبل، المسند، ج٥، ص٣٥٩، رقم٢٣٠٨٥؛ والطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١١، رقم ١٠٢٢؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠٩.

(٥) المصدران السابقان.

(٦) المصدران السابقان.

أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آصعا من تمر وشعير لإطعام نساء الأنصار منها[1].

هذه الوليمة على بساطتها وانتمائها الأصيل إلى الإسلام المحمدي، وعلى الطريقة النبوية لم يَنْسَها الصحابة، ولم ينسوا أجواءها الطيبة، ورائحتها الزكية؛ فقد قال جابر: حضرنا عُرْسَ علي وفاطمة، فما رأينا عُرسا كان أطيبَ منه، حشونا البيت طِيبا، وأُتِيْنَا بتمر وزبيب فأكلنا[2].

وبهذا يظهر أهمية التيسير في الولائم، واعتماد الأطعمة المتوفرة، مما يوفر موادَّها بلدُ العُرْس نفسه، كما يظهر أهمية التعاون بين المسلمين وإعانة بعضهم بعضا في مثل هذه المناسبات الاجتماعية.

---

(١) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٢، ص٢٢٠.
(٢) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٤، عن أبي بكر بن فارس.

زفافها

أمـرَ النبـي صلى الله عليه وآله وسلم بنـاتِ عبـدالمطلب ونـساء المهـاجرين والأنـصار أن يمـضين في صـحبة فاطمـة وزفافهـا إلى بيـت الزوجيـة، وأن يفـرحن ويَرجُزْن، ويُكَبِّرْنَ ويُحَمِّدْنَ، ولا يقُلن ما لا يرضي الله، فارتجزت أم سلمة وعائشة وحفصة، ومعاذة أم سعد بن معاذ، وكانت النسوة يرجِّعْن أول بيت من كل رجز، ثم يكبرن، إلى أن دخلن الدار[1].

وكانت أم أيمن مولاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي مَنْ أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدخُل مع فاطمة، وتبلِّغ عليا بأن لا يعجل حتى يأتيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما صلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العشاء أقبل بركوة كان فيها ماء، فدعا فيها، وقال ما شاء الله أن يقول، وتوضأ منه، ثم نضح بها بين ثديي فاطمة، وعلى رأسِها، وبين كتفيها، ثم قال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم نضح به عليا عليه السلام على رأسه، وبين يديه، وقال: اللهم إني أعيذه بك وذرِّيَّتَه من الشيطان الرجيم[2]، ثم دعا لهم قائلا: (اللهم بارك فيهما،

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٦٣، نقلا عن المناقب، ج٣، ص٣٥٤؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١١٥.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٩، رقم١٠٢١؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠٦.

وبارك لهما في شملهما)، وقال لعلي عليه السلام: (ادخل على أهلك باسم الله والبركة)[1]، وتذكر بعض الروايات أنه حين جمع بينهما دعا لهما، ولم يُشْرِك في دعائهما أحدا غيرَهما، فدعا لها ثم جعل يدعو له كما دعا لها[2].

وفي تلك الليلة لما بكت لفراق والدها ذكَّرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأهم مقاييسها في الرجال؛ إذ قال لها: (ما يبكيك يا بنية، قد زوَّجتك أقدمَهم إسلاما، وأحسنَهم خلقا، وأعلمَهم بالله تعالى)[3]، وفي رواية: (زوْجُك سيدٌ في الدنيا والآخرة، وإنه أولُ أصحابي إسلاما، وأكثرُهم علما، وأعظمُهم حلما)[4]، وهي مقاييس ومؤهِّلات فاضلة تنتمي لحياة الإيمان والتقوى، إنها الأكثرية في العلم، والسبق إلى الإسلام، وأحسنية الخلق أو أعظمية الحلم، وهو ما يجب أن تجعله فاطمةُ اليومِ في أعلى قائمة مقاييسها في الزوج الذي تريد أن تختاره شريكا لحياتها.

وقد زارهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صبيحة العرس، وقيل في صبيحة اليوم الرابع من العرس، فسأل عليا عليه السلام: كيف وجدْتَ أهلَك؟ فقال: نِعمَ العونُ على طاعة الله، وسألها عن زوجها، فقالت: خير بعل، فقال: (اللهم اجمع شملهما، وألِّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم،

---

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٣؛ وقال خرجه النسائي، والدولابي.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣، ص١٠٩٩.

(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٤٠.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣، ص١٠٩٩.

وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذرِّيَّتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك)[1].

ودخل عليهما يوما وهما يضحكان فلما رآياه سكتا، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما لكما كنتما تضحكان، فلما رأيتماني سكتُّما؟)، فبادرت فاطمة، فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا - وأشارت إلى علي عليه السلام -: أنا أحبُّ إلى رسول الله منكِ، فقلتُ: بل أنا أحبُّ إلى رسول الله منكَ، فتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (أنتِ ابنتي، ولكِ رقة الولد، وعليٌّ أعزُّ منكِ)، وفي رواية مخاطبا لعلي عليه السلام: (فاطمةُ أحبُّ إليَّ منكَ، وأنتَ أعزُّ عليَّ منها)[2].

(١) الكعبي، سيدة نساء فاطمة الزهراء، ص٦٦؛ نقلا عن (مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص١٥٥، وبحار الأنوار، ج٤٣، ص١١٧).

(٢) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج١، ص٢٢١؛ وقال: أخرج الرواية الأولى الطبراني، برجال الصحيح عن ابن عباس، وأخرج الأخرى عن أبي هريرة أيضا.

الزوجية إكرام وتقدير

أن يُكْرِم كلٌّ من علي والزهراء الآخَر منهما، وهما جميعا قد بلغا في الفضل والمجد غايتيه فهذا تكليف شريف وعظيم، وسؤددٌ يشرِّف صاحبه، لا يقل عن أن يكرم زوجان عاديان بعضَهما، فكلٌّ فيه كلفة، حتى لا يقال: إنه من السهل أن يُكْرِم علي فاطمة والعكس، وهما من عِلية الأمة، وخير الخلق فيها.

وما أجدر الزوجين اليوم لا سيما ذينك المنتميين إلى علي والزهراء محبة واتباعا، ما أجدرَهما أن يكونا على ذات التكريم والمودة والمحبة وحسن الصحبة والمعاشرة، ما أجدر أن يقابِل طاعةَ الزوجة وحسنَ تبعُّلها لزوجها رحمةٌ ومودةٌ وتقديرٌ وإكرامٌ من الزوج؛ وبهذا تستقيم الأسرة، ويصلُح المجتمع، ويؤديان وظائفهما العظيمة في طاعة الله وعبادته.

لقد وَجَدَتْ فاطمة الزهراءُ نفسَها في بيت علي عليه السلام أمام مسؤوليات جديدة، وأول تلك المسؤوليات علاقتُها مع زوجها الإمام علي عليه السلام؛ ولا ريب في أنه قد سادت علاقة رائعة بين هذين الزوجين الكريمين فما عَرَف التاريخُ فاطمة إلا وهي مطيعة لزوجها، موافقة له، معينة له في طاعة الله، وتؤثِرُه على نفسها، وكان كلما نظر إليها بعثت في قلبه السعادة والحبور.

أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري، قال: قال علي عليه السلام ذات

يوم: يا فاطمة هل عندك شيء تغدينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة، ما أصبح عندي شيء منذ يومين، إلا شيء أؤثِرُك به على بطني، وعلى ابنيَّ هذين، قال: يا فاطمة ألا أعلمتِني حتى أبغيَكم شيئا؟ قالت: إني أستحيي من الله أن أُكَلِّفَكَ ما لا تقدر عليه، فخرج من عندها واثقا بالله حَسَنَ الظنِّ به، وذهب ليتدبَّر أمره في تلك الساعة[1].

هذه فاطمة التي تفضِّل زوجَها على نفسها بل وعلى ابنيها، وتستحي من الله أن تكلفه ما تظن أنه لا يقدِر عليه من أمور النفقة الضرورية، فما بال فاطمة اليوم تُرْهِق زوجَها بمطالبَ وتكاليفَ، من حيث يقدر ومن حيث لا يقدر، في أمور الملابس والاكسسوارات والموضات؟!.

فاطمة سلام الله عليها لم تخالف زوجَها في أمر، وقد قالت لزوجها عليه السلام في مرض موتها: (يا ابن عم ما عهدْتَني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفْتُك منذ عاشرْتَني، فقال عليه السلام: معاذَ الله، أنتِ أعلمُ بالله وأبرُّ وأتقى وأكرمُ وأشدُّ خوفا من الله، من أن أوبِّخَكِ بمخالفتي)[2].

وهي تلك التي وصفها زوجُها بقوله: (والله ما أغضبْتُها ولا أكرهْتُها على أمرٍ حتى قبِضَها الله عز وجل، ولا أغضبَتْني ولا عصَتْ لي أمرا، ولقد كنتُ أنظر إليها فتكشفُ عني الهمومَ والأحزان)[3].

---

(١) ابن الأمير، الروضة الندية، ص٢٥٢.

(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٦٨، نقلا عن مصادره.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، ج١، ص٣٦٣؛ ومناقب الخوارزمي، ٢٤٧.

هـي تلـك التـي ضربـت الأمثولـة العاليـة للزوجـة المثاليـة في الطاعـة وحسن العشرة، ورغم أنها كانت تجرُّ الرحى حتى تمجُل يداها، وتستقي بالقربة حتى تؤثِّر في نحرها، وتكنس البيت حتى تغبَرَّ ثيابُها، وتوقِد في القدر حتى تدكنَ ثيابها[1] - فما كان يزيدها ذلك إلا ألَقا وصبرا وتجمُّلا وسعادة، ويحق القول: إنه لولا علي لما كانت فاطمة، ولولا فاطمة لما كان علي بذلك النحو الذي ظهر عليه في التاريخ إنجازا ومجدا وكرامة.

وتستمر الزهراء في التقدير العظيم لشخص زوجها، ولا تكتفي باحترام زوجها، بل تذهب في هذه الحياة لتنثر بذور المحبة للإمام علي عليه السلام، فتحدِّث أبناءَها وأمةَ أبيها بما سمعَتْهُ من والدها في إكرام علي عليه السلام، وتروي الحديث الذي مر ذكره سابقًا في فضله عليه السلام[2].

لقد كانت تحترِم وتقدِّر زوجَها؛ أولا لأنه زوجها الكريم، وبعلُها البطل الشجاع العالم المجاهد، ثم لأنه علي عليه السلام وصي رسول الله، وأبو ذريته؛ ولهذا وقفت معه في موضوع ولاية الأمة حينما اغتُصب أمرُه الذي عيَّنه له الإسلام.

وها هي في خطبتها في مواجهة أبي بكر تذكُرُ مواقفَ الإمام علي عليه السلام قائلة عنه: (كلَّما أوقدوا للحرب ناراً أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان،

(١) السيوطي، مسند فاطمة، نقلا عن أبي داود، والعسكري، وأبي نعيم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل.
(٢) وينظر: المرشد بالله، الأمالي الخميسية، ج٢، ص١٣٠ (ترقيم آلي).

أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فما ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدًا في أولياء الله، مشمِّرا ناصحًا، مُجِدًّا كادحًا، لا تأخذه في الله لومة لائم)[(١)].

وتقول عنه أمام نساء المهاجرين والأنصار، معلِّلة ما نقموا به عليه فأزاحوه عن حقه في ولاية أمر الأمة: (وما نقموا من أبي حسن؟ نقموا والله نكير سيفه، ونكالَ وقعِه، وشدة وطأته، وتنمُّرَه في ذات الله)[(٢)].

هكذا كانت الزهراء تنظر إلى زوجها الإمام، وبهذا كانت تصفه، وكانت تلبي نداءه في كل وقت بدون تأفف أو تضجر، وفي مرة من المرات طرق بيتَهم مسكينٌ، يطلب طعاما، فما كان منها إلا أن قالت:

أمرك سمعٌ يا ابن عمّ وطاعة ... ما بيَ من لؤمٍ ولا وضاعة[(٣)]

وبالمقابل فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام نعم الزوج، والبعل، لا يُغضِبها ولا يُكْرِهُها على شيء، ويقدِّرُها غاية التقدير، وقد مضى كلامُه في ذلك؛ إذ قال: (والله ما أغضبْتُها ولا أكرهْتُها على أمرٍ حتى قبِضها اللهُ عزَّ وجل)[(٤)]، وحَين يراها وقد أثَّر عليها التعب وكثرةُ العمل في البيت

(١) الشرفي، اللآليء المضيئة –خ–؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٥٠.
(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٦٩.
(٣) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج١، ص١٧٩، رقم١٠٣.
(٤) الإربلي، كشف الغمة، ج١، ص٣٦٣؛ ومناقب الخوارزمي، ٢٤٧.

وتتزاحم عليها الأعمال يرِق لها، ويقترح أن تذهبَ إلى أبيها لعلَّها تظفَرُ منه بخادمٍ من السبي يعينها، ولكنها تعود بخير الدنيا، من الدعاء لله والمناجاة، والتسبيح، فيقول لها: خير أيامك، خير أيامك.

وما أجمله من زوجٍ يشعُر بمعاناة زوجته وتعبها، وما أجملها من زوجة ترضى بما قسم الله لهم، وبقضاء الله وخيرته التي اختارها لأهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما أعدلَه وهو يعتبرها مصدر سعادته، وانجلاء همومه وأحزانه، وهو الرجل الذي ما عرَف إلا المعاناة واقتحام المعارك، ومصاولة الأبطال.

ولما قالت له: (ولا خالفتُك منذ عاشرْتَني)، قال: (معاذ الله أنتِ أعلم بالله، وأبر، وأتقى، وأكرم، وأشد خوفا من الله من أن أوبِّخَكِ بمخالفتي)[1].

وربما اختلفت الرؤى والتقديرات لبعض الأمور فيجري بينهما من الاختلاف الراشد، والحوار الهادئ، ما لا يخرج إلى الإيذاء والإغضاب، فتشدِّد فاطمة على موقفها، فلا يملِك إلا أن يُكْرِمَها ويسكُت أن يُجيبَها بشيء.

وكلامه لها بعد موت أبيها عند اغتصاب فدك يشير إلى إجلاله لها؛ إذ يقول: (نهنهي عن وَجْدِك[2] يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة)[3]، ولما دفنها

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٦٨، نقلا عن مصادره.

(٢) أي كفي. والوَجد يقال: وجد عليه يجِد وَجْدا: إذا غضب عليه. يقول لها: كفي عن غضبك.

(٣) مستدرك نهج البلاغة، ص٧٧.

ذهب إلى قبر رسول الله يناجيه، ويقول له: (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسولَ الله عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلّدي، إلا أن التأسيَ لي بعظيمِ فرقتك، وفادحِ مصيبتِك، موضعُ تعزٍّ .. فلقد استُرْجِعَتِ الوديعة، وأُخِذَت الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهَّد)[1].

وهكذا يصف الإمام علي عليه السلام مبلغ فقده وحزنه وسهره على شريكة حياته، ومعينته على أداء جهاده العظيم.

ولهذا لا غرابة أن كانت السعادة العميقة والحب الغامر والمشاعر الزوجية الصادقة هي السائدة في ذلك البيت، وأعلام السعادة هي المرفرِفة على أنحائه، على عظيم المسؤوليات، وكبير المصاعب والمهمات، التي كان يتحملها ذلك البيت رجالا ونساء، تلك السعادة الغامرة بالمحبة الفائضة هي التي وَجَد بعضَ مظاهرِها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يوم وقد دخل بيتَ فاطمة، فوجدهما يضحكان، لحديثٍ كان منهما حول أيُّهما أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تقدم.

(١) الرضي، نهج البلاغة، خ ٢٠٠، ص ٣٩٥.

تعاونهما

هـذا البيـت الـذي تـزدَحِم فيـه الواجبـات الشخـصية والـشرعية والمجتمعية والجهادية هـو البيت الذي أبصار الناس - خـارج حيطانه - شاخصة إليـه تنتظـر القـدوة الحـسنة والأسـوة الطيبـة، وتنتظـر التعليمات تخرج منه في مختلف المجالات، لتقتدي به وتتأسى؛ وقد قدَّم هذا البيت بالفعل نموذجا رائعا في التعاون بين الزوجين.

لا تمضي الحياة سليمة من الأذى إذا لم يكن هناك تعاون وتفاهم ونظامٌ يرتِّب أمورَها ويُصْلِحُ مُعْوَجَّها، ويقيلُ عِثارَها، وقد قدَّم هذان الزوجان نموذجا رائعا لكلِّ زوجين سواهما، في ترتيب أمورِ بيتِهما؛ فهذه الزهراء سيدة نساء العالمين، وبنت خير المرسلين، وزوج سيد الوصيين، وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ووالدة الذرية المباركة الطيبين، لم تتأفّف عن العمل، وعن معالجة أكبرِ الأمور وأصغرِها، وأعظمِها وأهونها داخل بيت زوجها.

وهاهي تلك كانت تطحن، وتستقي، وتعجن، وتخبز، وتربي الأولاد، وتغزل الملابس، وتُسعِد زوجها، وتُكْرِم أضيافَها، وتتفقد أباها، وتُصْلِح أمره، وتقوم بأدوارها الجهادية والاجتماعية والتعليمية.

عن الصادق عليه السلام أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة يوما وعليها كساء من أوبار الإبل وهي تطحن بيدها، وتُرْضِع ولدَها، فدمعت عيناه،

لما أبصر بها، فقال: يا بنتاه تعجَّلي مرارةَ الدنيا بحلاوةِ الآخرة، فقد أنزل الله عليَّ: (ولسوف يعطيك ربُّك فترضى)[1].

ومع كبَرِ عقولِ هذين الزوجين، وحسنِ تعاشُرِهما إلا أنه كان لا بد من الترتيب والتنظيم، وتحديد الصلاحيات والمهام بين أعضاء هذا البيت؛ كان لا بد من ذلك ليكونا نموذج التعاون لبقية الأزواج، وأمثولة الترتيب والنظام لسائر الأسر؛ ولهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى على فاطمة الزهراء بخدمة البيت، وقضى على علي عليه السلام بإصلاح ما كان خارجاً والقيام به[2].

كانت الزهراء تقوم بأعمال كثيرة خدمة لبيت زوجها، وفي رواية وصَفَ فيها الإمامُ عليّ عملَها، فقال: (إنها جرَّت بالرحى حتى أثَّرت في يدها، واستقت بالقِربة حتى أثَّرت في نحرِها، وكنَستِ البيتَ حتى اغبرّت ثيابُها، وأوقدَتِ القِدْرَ حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضر)[3]، واشتهرت الرواية التي تصف يدها بأنها مجلت من أثر الرحى والطحن.

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج٨، ص٥٤٣؛ والسيوطي، مسند فاطمة عليها السلام، ص٥٨ عن ابن النجار وابن مردويه والديلمي؛ والخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٦٤؛ والهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٤٢٢، رقم٣٥٤٧٥.

(٢) الهادي، يحيى بن الحسين، الأحكام، ج١، ص٤١٤؛ والحوثي، المختار، ص٣٨٧.

(٣) السيوطي، مسند فاطمة، ص١١٠؛ عن أبي داود، والعسكري، وأبي نعيم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل.

وكانت إلى جانب العمل تربي أولادها، وربما كانت تطحن وصبيها يبكي[1]، ولهذا اقترح عليها زوجها علي عليه السلام أن تذهب إلى أبيها قائلا لها: (فسليه يعطيك خادما، يقيك الرحى، وحرَّ التنور)[2]؛ لأنه كان قد جهدها الطحن والعمل[3].

وفي إطار إصلاح علاقة الأم بالزوجة، وهو المشكِل الذي لم ينجحْ فيه كثير من أزواج عصرنا، رسَم الإمامُ عليٌّ عليه السلام معادلة متوازنة تنظِّم علاقة العمل بين زوجته وأمه؛ إذ قال لأمه فاطمة بنت أسد: (أكفي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان خارجا من السقي وغيره، وتكفيكِ ما كان داخلا من العجن والطحن وغير ذلك)[4].

وهذا فيه عظة لنا بأن نرسم علاقة تعاونية واضحة وطيِّبة بين الأم والزوجة، ونضع معادلة عادلة تحفظ للزوجِ بِرَّه بأمِّه ووالديه، وحسنَ معاشرتِه لزوجته، وعلى الزوجةِ أن تُعينَ زوجَها على البِرِّ بأمه، وعلى الأم أن تساعِد ابنَها على حسن معاشرة زوجته.

ومع ذلك فقد كانت هناك ظروفٌ أظهرت فاطمة في مستوى عالٍ من تقدير العمل والمبادرة إليه، يقول الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام: (وقد كانت أمُّنا فاطمة عليها السلام تغزِل لنفسها، وبالأجرة، وتطحن النفقة، وتخدِم البيت،

(١) ابن حنبل، المسند، ج٣، ص١٥٠؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣١٦؛ وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص٣٣٢.
(٢) مسند فاطمة للسيوطي، ص١٠٣، عن أبي نعيم.
(٣) مسند فاطمة للسيوطي، ص١٠٢، عن ابن جرير.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٧؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤.

وبذلك قضى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شرف أعظم من شرفها، ولا كرم على الله يوازي كرمها)[1]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فُصِّلَت:٣٣].

وورد تفصيل ما أجمله الإمام المنصور بالله وذلك أن عليا عليه السلام انطلق إلى رجل يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزة من صوف، تغزِلها لك بنتُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة آصُعٍ من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه الصوفَ والشعيرَ، فقبِلت فاطمة وأطاعت، وقامت إلى صاعٍ فطحنَتْه، وخبزت منه خمسة أقراص[2].

وهذا يبين أنها سلام الله عليها اكتسبت مهارة رائعة وعملا شريفا تعمله داخل بيتها يُدِرُّ عليها وعلى أسرتها دَخْلا يحفظ كرامتهم، ويعالج بعض مشكلاتهم الاقتصادية، وهذا ما يجب أن تستنه فاطمة اليوم في حياتها.

ومع ذلك فإن التاريخ لا يتركنا نشاهد فاطمة تقاسي التعب لوحدها، رغم أننا نعلم أن زوجها البطل الهمام هو ذلك الذي كانت تُسْرِع به رجلاه نحو المعارك، ومصاولة الأقران، وتثبُت في مواقف الخشوع والعبادة وحلقات العلم، وهو ذلك الذي كان مع رسول الله كظله، يكتسب منه المعارف والعلوم.

---

(١) المنصور بالله عبدالله بن حمزة، مجموع رسائل المنصور بالله عبدالله بن حمزة (القسم الثاني)، ج٢، ص٥٧٨، وصية البنات.

(٢) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج١، ص١٧٨، رقم١٠٣؛ والثعلبي، تفسير الثعلبي، سورة (هل أتى).

بل تخبِرُنا بعض الروايات أنه مع تلك المشاغل ومع ما أخذ على نفسه من التكفل بشؤون البيت من خارجه، إلا أنه لم يَتْرُكْها تقاسي التعبَ بمفردها داخل البيت في الأوقات التي يمكنه فيها إعانتها، بل تخبرنا أنه كان يطحن معها الشعير، وكانت يداه تتأثر بمثل ما تتأثر به يداها، وهو يدير معها الرحى[1]، وهذا درس عظيم لنا معشر الرجال كيف نكون مع زوجاتنا عملا وتعاونا وتواضعا وشغفا بالعمل داخل البيوت.

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٢٣١ - ٢٣٢.

خادمة البيت سيدة فيه

إن هذا البيت هو الذي منعه رسول الله من خادمٍ في أول الإسلام؛ إذ كانت لا زالت حاجة المسلمين ماسة إلى الخادم والخادمين، غير أنه في آخر الأمر لما أصاب صلى الله عليه وآله وسلم سبيا في إحدى الغزوات تخيّر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة نوبية تسمى فضة، فذهب بها إلى فاطمة، وأوصاها بها خيرا، وأن لا تضربَها، ولما رأت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدَها يُكْثِر الوصية بها، التفتت إليه، وقالت: يا رسول الله عليَّ يوم، وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله بالبكاء، وقال: (الله أعلم حيث يجعل رسالته، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)[1].

وهكذا أخلاق أبناء النبيين، وسادات العالمين، يشاطرون خَدَمَهم وعبيدَهم في الخدمة؛ ذلك أنهم يعلمون أن هؤلاء أناسٌ مثلُهم، وإذا كان الله قد ابتلاهم بالرق لظروفٍ غيرِ عادية، فإن من حقِّهم أن يعيشوا في بيوت المسلمين كما يعيش السادة عملا، وملبسا، ومأكلا، ومشربا، ولهذا قدَّم أهلُ البيت نموذجا رائعا للتعامل الإنساني الراقي، وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني أن رسول الله أخدم فاطمة جارية اسمها فضة النوبية، فكانت تشاطرُها الخدمة، فقالت لها فاطمة: أتعجنين، أو تخبزين؟ فقالت: بل أعجن يا سيدتي، وأحتطب ...)[2].

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٦٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص٧٥، ترجمة رقم١١٦٢٨.

وبهذا يتبين أن هذا البيت كان منظَّما ونظيفا يؤدي أهلُه وظائفَهم وأعمالَهم فيه بانتظام، وكلٌّ يسعى في سبيل تحصيل السعادة، والقيام بالواجب، في ظلِّ مهامَّ محدَّدة، وواجباتٍ منتظِمة، فإذا جاء علي عليه السلام إلى البيت وجده نظيفًا أنيقًا، حيث بنت المصطفى فيه لا تعرف الكسل، وتحرص على النظام، وعلى إشاعة جوٍّ أنيق وكريم.

أناقة .. وبساطة

وتشدني عجبا تلك الرواية التي تفيد أنه عليه السلام وهو عائدٌ من اليمن، ولما وصل مكة، وجد فاطمة قد أحلَّت من الحج، وما إن دخل البيت المؤقَّت في مكة، حتى وجد منها ريحا طيبة[1]، ووجد الزهراء قد لبست ثيابا صَبِغا، وقد اكتحلت[2]؛ الأمر الذي دفعه للذهاب للاستفتاء إلى رسول الله، والمهم في الرواية أنها تفيد ما كانت عليه فاطمة من أناقة ونظافة واعتناء بطيبها وملبسها المتواضع في سفرها، فكيف بها في حلها نظافة وأناقة وجمالا؟!.

إن ذلك يشير إلى حرص فاطمة الزهراء على إشاعة جو الأناقة والنظافة والسعادة، حتى في أوقات السفر، فلهذا لا غرابة أن حفَّت السعادةُ والبهجةُ بهذا البيت الطاهر من كل اتجاه.

(١) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج١، ص٣٧٠.
(٢) ابن أبي النجم الصعدي، درر الأحاديث النبوية، ص٨٤.

زوجة المجاهد مجاهدة

إن ما يجب أن تعيه (فاطمة اليوم) و(علي اليوم) أنه باتباع التعاليم الإلهية، والاقتداء بنموذج أهل البيت فكرا وتعاملا وأخلاقا وقيما وتربية يمكنهما تكوين الأسرة التي يتخرَّج منها الأولاد الصالحون الذين يعون واقعهم وواجباتهم، ومسؤولياتهم، ويقدِّرون الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إنهم بذلك يستطيعون أن يوجِدوا جسورَ المودة الوطيدة، بتأييد الله وتوفيقه، فلا يستطيع الشيطانُ أن يهدِمَها، بل لا يملِك كيدُه إلا أن ينهارَ أمامها.

حينما يكون الإسلامُ فكرةً وقيما ووجدانا وسلوكا هو المسيِّر لشؤون البيت، وحينما تكون الواجبات والمسؤوليات واضحة، وكلٌّ يسعى في مسؤولياته في علاقة متوازنة، وتسود روح التعاون، وكلٌّ يريد أن يتقرب إلى الله بخدمة الآخر، فإن النتيجة هي السعادة والبهجة والسرور، ولن يكون أبدا بين مفردات تلك العائلة وذلك البيت كلمة نافرة، ولا موقفٌ شاذٌّ، ولا حالةٌ نادَّة، ولن يصل الأمر بهم البتة إلى أبغض الحلال إلى الله، وهو الطلاق.

مخطئة تلك المرأة التي تظن أنه لا يستقيم لها جهادٌ إلا إذا هربت من واقع حياة الزوجية، وتنصّلت عن شريف المسؤولية في هذا الاتجاه، واعتبرت واجباتها الزوجية عائقا لها عن القيام بالجهاد؛ لأن نموذج فاطمة عليها السلام الجهادي

وواقع حياتها الزوجية أكبرُ دليل على خطأ ذلك المسلك، وضحالة ذلك الفهم.

لقد كانت فاطمة بنت النبي المجاهد، وزوجَة الوصي القائد المجاهدِ، وأمَّ أولادٍ صاروا أئمة المجاهدين وسادة الشهداء، وكانت تتحرَّك على ذلك النحو، وترسم تلك العلاقة المتوازنة بين الجهاد والعمل المنزلي، وكانت تتصل بالله من خلال هذه القيم والسلوكات؛ ومتى فرَّق المؤمنون والمؤمنات بين أعمالِ البيت والأعمال الجهادية، وكلها مما يقرِّب إلى الله، ويُبتغَى بها وجهُ الله عز وجل؛ وليس هناك أسرة مؤمنة إلا وهي مقدِّسة للعمل، مبارِكة للاستقامة، مُسرِعة إلى طاعة الله.

لا يمكن أن يكون علي عليه السلام بتلك الجلالة التي ظهر عليها مجاهدا عظيما، وفارسا شجاعا، واثقا بقدراته القتالية، ووجدانه المعنوي الروحي العالي والمندفع مع الله بلا حدود، إذا لم يكن له من السيدة فاطمة تلك الروحية المسانِدة، والإعانة المستمرة، والتهيئة المتجدِّدة؛ لأن زوجة المجاهد والمضحي المُخْلِص لا ينبغي لها أن تكون إلا منسجِمة معه، ومواكِبة لذلك القدر من الاستعداد والتضحية والفداء والشجاعة لديه.

أما فاطمة فكما كانت مع أبيها في سوح الجهاد فكذلك كانت مع زوجها المجاهد، ولا شك أن شجاعة زوجها وبطولاته في معركة بدر التي كانت أول معركة أظهرت بطولاتِه المُدهِشة، ومقوِّماته الجهادية الفائقة، لا شك أن تلك المعركة قد تركت أثرا محمودا في قلب هذه السيدة تجاه علي الذي أصبح بعد ذلك زوجًا لها، وهو الزوج الذي ذكَّرها أبوها بأهمِّ مقوماته ليلة زفافها من أنه: "أسبقهم إلى الإسلام، وأكثرهم معرفة

بالله تعالى، وأحسنهم خلقا أو أعظمهم حلما"، مثل هذه الصفات العظيمة عندما تجتمع في شخصٍ واحد فإنه بلا شك سيكون مصدرَ اعتزازِ أيِّ زوجة في الدنيا فما بالكم بسيدة النساء؟!.

لنتصورِ الزهراءَ وقد عاد فارسُها الشجاع المتفاني في ذات الله، وقد سبقت أخبارُ انتصاراته وبطولاته إلى مسامعها، كيف ستحمد الله أن رزقها الله مثل هذا الزوج، ولنتصورْها وهو ذاهب إلى المعركة وآئب منها، وهي تعلم أنه اليد اليمنى لوالدها الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم، والبطل الأول في الإسلام، كم عساها ستنطلق إلى تجهيزِ وإعدادِ أدواته الجهادية وعدته وعتاده!!.

وما أجمل تقييمها لأداء زوجها الجهادي في أيام والدها، وهي تعدِّد مؤهِّلاته العظيمة التي استحقَّ بها أن يكون ولي أمر المسلمين، ما أجمل ذلك التقييم وهو يكتنز وعيا عميقا بدورِ ومسؤوليةِ زوجها في الجهاد، قالت في خطبتها تلك: (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه [تعني زوجها] في لهواتها، فما ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمِّرا ناصِحا، مُجِدًّا كادحا، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم، وأنتم في رفاهيةٍ من العيش .. تتوكَّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال ..)[1].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٥٠؛ والشرفي، اللآليء المضيئة، -خ-.

إنها بهذا النص تعتَبِرُ جهادَ زوجِها وقتالَه جُلَّ الجهاد ومُعْظَمَه، وهي تذكِّر بالأثرِ القائل: (قام الإسلام على سيف علي، ومال خديجة)، وعلي هو زوجها، وخديجة هي أمها صلوات الله عليهم جميعا.

لقد رأت سلامُ الله عليها الطلقاءَ وقد كثُر عديدُهم في المدينة، وهم أولئك الذين لا يزالون يحمِلون في جوانحِهم حِقدا قديما، تحمَّلوه في قلوبهم، يومَ جنحوا عن المواجهة الصريحة للإسلام إلى المواجهة الخفية من الداخل، ولهذا رأت أن هذا التيار داخل مجتمعِ المدينة، قد بات يشكِّل المرجِّح الكبيرَ لخلافات الصحابة، ولهذا قدَّمت تفسيرا جيدا لإبعاد زوجها المجاهد علي عليه السلام عن ولاية أمر الأمة، فقالت: (وما نقموا من أبي حسن؟ نقموا والله نكير سيفه، ونكال وقعه، وشدة وطأته، وتَنَمُّرَه في ذات الله)[1].

لقد عاشت الزهراء ذلك الجهاد روحا وجسدا، ولهذا تدرك قيمة التضحيات وصعوبة المواقف السلبية المغايرة لها، والمخالِفة لمقتضياتها، روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم أحد كُسِرَتْ رباعيتُه، وهشِمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسِل الدَّمَ، ولما لم يستمسِكِ الدمُ استطاعت أن تجد طريقة لإيقافه[2].

ولما وصلت فاطمة إلى أُحُد كان أبوها رسول الله قد ناولها سيفه، وقال لها: (اغسلي عن هذا دمَه يا بنية)، وناولها علي عليه السلام، وقال:

---

(١) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٦٩.

(٢) البخاري، الصحيح، ج٥، ص٢٢٦، رقم ١١٣، كتاب المغازي؛ ومسلم، الصحيح، ج٣، ص١٤١٦، ١٠١، كتاب الجهاد.

أفـاطمُ هـاكِ الـسيفَ غـيرَ ذمـيم   فلـستُ برعديـدٍ ولا بلئـيمِ
أفـاطمُ قـد أبليـتُ في نـصرِ أحمـدٍ   ومرضـاةِ ربٍّ بالعبـاد رحـيمِ
أميطـي دمـاءَ القـومِ عنـه فإنـه   سـقى آلَ عبدِالـدار كـأسَ حمـيمِ[1]

ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، واستأثر بعض الصحابة بولاية أمر الأمة دون أهل البيت عليهم السلام، أطلقت الزهراء صيحات جهادية سلمية، علَّمت المسلمين كيف يثورون على حكام الأمر الواقع، وكيف ينحازون إلى الحق، حتى أمام كبار القوم؛ إذ ليس بين فاطمة وبين مَنْ يتجاوزُ الحقَّ من الخلق أيةُ هوادة.

أعلنت من خلال خطبها أمام المسلمين وأمام نساء المهاجرين ثورة فكرية لخَّصت المشروع الإسلامي الذي جاء به أبوها، وكأنها تريد التذكير به لَمَّا اتخذوا مواقف مناهِضة له وتتناقض معه في موضوعِ ولاية الأمر، وثارت ثائرتها ضد انحرافة السقيفة، وانتقدتها نقدا قويا ولاذعا وصارما، واستمرت في موقفها المتشدد من السلطة الجديدة حتى جاءها الموت.

وهكذا فلتكن النساء المجاهدات مواقف وسلوكا ووجدانا في مواقف الحق، لا يخَفْن في الله لومة لائم.

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٢٤٩.

أم الحسنين

تلك كانت الزهراءَ أمَّ أبيها، وزوجةَ بطل الإسلام الأول، فماذا عنها وهي أم علمي الهدى، وسيدي شباب أهل الجنة، ومنطَلَق امتدادِ رسول الله وولديه؟

إن للحسن والحسين خصوصية شرعية لم تكن لغيرهما؛ حيث القرآن سماهما أبناءً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾[آل عمران:٦١]، وتُجْمِع روايات الشيعة والسنة أن رسول الله لم يُخْرِج إلا الحسن والحسين، وأباهما، وأمَّهما، ليباهِل بهم نصارى نجران.

وأما قوله ﴿**ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾[الأحزاب:٤٠]، فلا تتعارض مع هذه الآية؛ إذ قال الله تعالى ﴿**مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾، ولم يقل: (من رجاله) أو (من أهل بيته)، ثم إن الآية نزلت في قصة زيد بن حارثة، وكان الحسنان حينها صبيين صغيرين، لا تطلق كلمة رجل على أي منهما.

تسميتهما

وُلِدَ الحسنُ عليه السلام سنة ثلاث من الهجرة في شهر رمضان[1]، ووُلِدَ الحسين عليه السلام في شعبان سنة ٤هـ[2].

تزعم روايات أن أمير المؤمنين عليه السلام بسبب اهتماماته الحربية أراد أن يسمي كليهما (حربا)، وتنص بعضُها أنه لم يشأ أن يسبِق رسولَ الله في تسميتهما، بل كان يهم مجرد همٍّ[3] غير أن تكرُّر هذه الإرادة عند ولادة الحسين بأن يسميه حربا أيضا كما في بعض الروايات[4] لا تسيغُه فِطنة علي، ولا ينسجم وقوة انسياقه مع الإرادة المحمدية والاصطفاء الإلهي.

ومع ذلك فهناك روايات تذكُر بأن أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد سمى الحسن حمزة[5] باسم عمه الشهيد حمزة، والذي لم يمض على استشهاده سوى بضعة أشهر، كما تذكر روايات أنه أيضا سمى الحسين عند ولادته باسم جعفر[6].

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥٠١؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣٨٣- ٣٨٤.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥٠١، ٥٠٣؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٢- ٣٩٣.

(٣) الرضا، الصحيفة، ص٤٦٦؛ والحوثي، المختار، ص٥٥٥.

(٤) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥١١.

(٥) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥١٠.

(٦) المصدر السابق.

ويترجّحُ صِدْقُ تلك الرواية التي تُثْبِت أنه عليه السلام أرادَ تسمية الحسن باسم عمه حمزة، حيث أراد التذكير بعمِّه حمزة، والتنويه بجهاده واستشهاده، وتضحيته، خَلْقًا للقدوة الحسنة، وإحياءً لجميل الأسوة، مع ترجيحي أن ذلك كان مجردَ استحسانٍ وإرادةٍ فقط، وليس اتخاذَ قرارٍ، وأستبعِدُ جدا أنه كان قد قرَّر قرارا نهائيا تسميتَهما حربا، أو حمزة؛ لأن الإمام عليا عليه السلام كان أوعى وأحفظَ لحق رسول الله في ولديه وفي تسميتِهما، وهو يعلمُ أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أجمل تلك الرواية التي أجاب فيها الإمام علي عليه السلام حين سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (بأي شيءٍ سمَّيْتَ ابنَك هذا؟)، فأجاب: (ما كنتُ لأسبقَك باسمه يا رسول الله)، فهذا هو منطقُ التقدير والاحترام من علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو منطِقُ أن هذين الولدين هما ولدا رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحقيقة.

وربما بالفعل كان علي عليه السلام قد همَّ بأن يسمي الحسنَ بـ(حمزة)، وربما تصحَّفت الروايةُ لاحقًا لتصير (حربًا)، ولكن ما يترجَّح لي أيضا هو أن تسمية الحسن والحسين كانت تسمية نزل بها جبريل عليه السلام عن إرادة المولى تبارك وتعالى.

وسواءٌ صحَّت رواية أنه كان يهُمُّ بتسمية الحسن بـ(حمزة)، أو رواية أنه كان يهم بتسميته بـ(حرب)، فإن كليهما يشير على أية حال إلى إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام لبطولته وشجاعته وجهاده العظيم؛ فهو القائد العسكري الأول في الإسلام بعد رسول الله؛ ولهذا همّ أن يسمي ابنه باسمٍ يتفاعل مع مقتضيات تلك الحال، أو لأنه كان يهتم بالشهداء الذين علت أرواحهم في طريق الحرية

وأعظمهم عمه حمزة؛ لذا أراد أن يسميه (حمزة).

وهناك روايات كثيرة تبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتظر أمر الله في تسمية الحسن، فـ(أتاه جبريل، فقال: يا محمد، الجبار يقرئك السلام، ويقول لك: سمِّه باسم ابن هارون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما اسمُ ولدِ هارون؟، فقال: شَبَّر، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لساني عربي، قال: سمِّه الحسن، ولما وُلِد الحسين تكرّر الأمر، إلى أن قال له: سمِّه شَبير، فقال: لساني عربي، قال: سمه الحسين)[1].

إن هذه الرواية تعمِّق علاقة علي عليه السلام الهارونية من موسوية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ذريته الطاهرة، إنها تؤكِّد منزلته من رسول الله التي هي منزلة هارون من موسى إلا في النبوة، والتي وردت في حديث المنزلة المتواتر بين الأمة جميعًا، (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا بني بعدي)، فكأن هارونية علي عليه السلام في علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمِّقة وممتدَّة من خلال ذريته الذين هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تثبيتا للحجة على هذه الأمة، وتأكيدا عليها.

(١) الرضا، الصحيفة، ص٤٦٦؛ والحوثي، المختار، ص٥٥٥-٥٥٦.

آداب النفاس

في حديث ولادة الحسنين وما صاحبَها من آدابٍ وتشريعاتٍ ما ينبغي اتخاذه نموذجا وطريقة وسنة إذا أردنا صلاح الأولاد، وصلاح دينهم، ونيل بركة الاتباع والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تُظْهِر الروايات اهتمامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولادة الحسنين اهتماما بالغا؛ ففي الروايات ما يمكن الأخذ بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كلّف عددا من النسوة وهن سلمى بنت عميس[1]، وعائشة أن يقبَلْنَ فاطمة في نفاسها بالحسن عليه السلام، وأمر أن لا يسبقنه بشيء بعد ذلك، وأن يلفُفْن الوليد في خرقة بيضاء، وأن يقرأن بعد وضع الحمل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين[2]، فسرَّرْن الحسن، ولفَفْنه في خِرقة

(١) كثيرة تلك الروايات التي تسند إلى أسماء بنت عميس أعمالا ومواقف لها علاقة بالزهراء، سواء في عرسها، أو زفافها، أو ولادة الحسن، أو الحسين، ولأن أسماء كانت في تلك الفترة في الحبشة مع زوجها جعفر الطيار بن أبي طالب، حتى السنة السابعة من الهجرة؛ فالذي يترجح هو أنها إما أن تكون قد عادت قبل عود زوجها، وعايشت تلك الأحداث المروية عنها، أو أن من عايش تلك الأحداث في الحقيقة هي أختها سلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، ولكن لما طغت شهرة أسماء بنت عميس على أختها اختلط الأمر على الرواة الأوائل، فجاء من بعدهم فكتبوا ما سمعوه.

(٢) صحيفة الإمام الرضا، ص٤٦٦؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥٠٩؛ والحوثي، المختار، ص٥٥٥.

صفراء، ولما جاء رسول الله ليراه وبَّخَهن، وأمَرَ أن يُلَفَّ في خِرقةٍ بيضاء، وحنّكه، وقال: اللهم أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم[1]، والمشهور جدا أنه أذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى[2]، وهو أمرٌ نصَّت على استحبابه كتبُ الفقه الإسلامي كأدبٍ من آداب الولادة.

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة.

العقيقة ووقت التسمية

في اليوم السابع سماه رسول الله الحسن، وكذلك فعل في الحسين أخيه، وعق عن كل منهما بكبشين أملحين، فأعطى القابلة فَخْذَ كبشٍ، وحلَقَ رأسَه، وتصدَّق بوزن الشعر ورِقا (فضة)، وطلى رأسه بالخَلوق (الطيب)، ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية[1]. وفعل مع الحسين كما فعل مع أخيه[2].

إن وليمة العقيقة التي ينبغي أن يُدْعَى إليها الأقارب، والفقراءُ والمساكينُ من السنن التي تكاد أن تكون مهجورة، ولا سيما في حق المولودة الأنثى؛ وهو الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإحياؤه.

ولما جاءتِ الزهراءُ بالحسن ثم بالحسين إلى رسول الله وطلبَتْ منه أن يُنْحِلَهما، فقال عن الحسن: (نَحَلْتُه المهابةَ والحياءَ، ونحَلْتُ حسينا الشجاعة والجود، وهما سيدا شباب أهل الجنة، من أحبهما فبحبي أحبَّهما، ومن أبغضهما أو بغى عليهما فببغضي أبغضهما)[3].

---

(١) ينظر الحوثي، المختار، ص٥٥٥ - ٥٥٦، نقلا عن صحيفة الإمام الرضا، وكان من عادة الجاهليين أن يطلوا رأس المولود بالدم.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٢ - ٣٨٣.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥٠٩.

إنه لمن المهم تهيئة الأجواء الصحية والبيئة الإيمانية للأولاد ليتربوا في ظلال حياةٍ روحيةٍ مساعِدة على القرب من الله وطاعته، والبعد عن الشيطان واتّباعه، وحتى لا يكونَ له فيهِم أيُّ حظٍّ ولا نصيبٍ؛ ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يعوِّذ الحسن والحسين عليهما السلام، ويقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامَّة)، ويقولُ: (إن إبراهيمَ عليه السلام كان يعوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ عليهما السلام)[1]، فهل تعوِّذون أولادكم أيها المحبون والمحبات لفاطمة؟

(١) الحوثي، المختار، ص٦٧٦، نقلا عن تفسير البرهان، للإمام الناصر أبي الفتح الديلمي؛ وأبو طالب، تيسير المطالب، ص١٤٨؛ والمرشد بالله، الأمالي الإثنينية، ص٥١١.

تربية أولادها

في صِغَر هؤلاء الأولاد يشير التاريخ إلى أن فاطمة كانت تهتم بهم، ففي مسند أحمد أنها كانت تنقِّز[1] الحسن بن علي عليه السلام، وتقول:

بأبي شبه النبي ليست شبيها بعلي[2]

وفي رواية: أنها كانت تزفِّن للحسن، أي ترقِّصه، وأصل الزفن اللعب والدفع[3].

ولعل هذا الأسلوب اشتهر وذاع بين الصحابة إلى درجة أن أبابكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بليالٍ، وعلي يمشي إلى جنبه مرَّ بحسنٍ بن علي عليه السلام، وعمره في الثامنة تقريبا، وهو يلعبُ مع غلمانٍ فاحتمله على رقبته، وهو يقول:

وابأبي شبه النبي ليس شبيها بعلي[4]

ولا يُستَبَعَد ذلك من أبي بكر، فهو من جهةٍ يشير إلى اشتهارِ ترقيصِ فاطمة وأحد أنشطة أسلوبها التربوي الرائد في المدينة، وكأن المدينة كانت

(١) النقز: هو الوثب صعودا، والتنقيز: هو التوثيب صعودا.
(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٨٣.
(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٣٣، وقريتنا اسمها (المزفن) لوجود ساحة كان الناس يؤدون فيها رقصة (البرع) في أيام العيد والغدير.
(٤) ابن حنبل، المسند، ج١، ص١٧١، رقم٤٠.

أذنا واعية لتسجيل أقوالِ وأفعالِ فاطمة وأساليبِها، ومن جهة أخرى، فإن أبا بكر كان يعتزم تلطيف الجوِّ المتوتِّر بينه وبين بيت علي عليه السلام، لا سيما وأنه للتو متورط في قضية ولاية الإمام علي عليه السلام، وربما أراد أيضا التمهيدَ بمثل هذا لتحرُّكِه المؤذي لفاطمة في فدك.

وفي رواية أنها كانت ترقص الحسن عليه السلام، وتقول له:

أشبه أباك يا حسن ... واخلع عن الحقّ الرَّسن

واعبد إلهاً ذا منن ... ولا تُوالِ ذا الإحن[1]

وهي كلمات توحي بأنها سلام الله عليها كانت تهدف إلى زرع الاقتداء في قلب ولدها بأبيه الوصي، وتبني فيه قيمة اتباع الحق، وعظمة الخالق المعبود ذا المنن، وإعمال مبدأ البراءة من أهل البغضاء.

لقد أنشأت فاطمة بطريقتها التربوية أعلى مدرسةٍ مثاليةٍ تخرَّج منها الحسنان وزينب عليهم السلام، وكانت تحرِص على اصطحابِ أولادها إلى محراب عبادتها، وتعلِّمهم أنواعَ التبتُّل والتهجُّد، حيث يروي الحسنُ عليه السلام أن والدته أجلسَتْه إلى جانب سجادتها، وهي تتضرع إلى الله وتدعوه.

وذكرت الروايات أن الزهراء كانت تعلِّم ولديها خُطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما لما يبلغا الخامسة، وكانت تطلب منهما إعادة ما سمعاه من خطاب رسول

(١) العاملي، أعيان الشيعة، ج١، ص٥٦٣ .

الله على مسامعها، ثم يعيدانه بحضور أبيهما.

وأخذت زينب عليها السلام إلى مسجد رسول الله عندما ألقت خطبتها العصماء هناك[1].

إن اهتمام فاطمة بولديها هو ترجمة لاهتمام رسول الله بهما؛ إذ هما وصيتاه العظمى، وهما منبع نهرِ كوثرِه صلى الله عليه وآله وسلم، الذي سيمتد إلى آخر الدنيا، ليخرُجَ من ذريتهم مَنْ يَحْمِل الهدى، ويُجاهِد الطغاة، وينصُر المستضعفين، ويعيدُ إلى الإسلام قرآنيتَه، وروحيَّته.

في بعض أيام صفين رأى الإمام علي ولده الحسن يتسرّع إلى خوض غمار الحرب، فقال: (املكوا عني هذا الغلام، لا يهدُّني، فإنني أنفَسُ [أضَنُّ وأبخَلُ] بهذين [يعني الحسن والحسين] على الموت؛ لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

وكان المولود الثالث زينب العقيلة عليها السلام بطلة كربلاء، وكان مولدها في السنة الخامسة من الهجرة، وروت عن أمها، وتزوجت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وعقبها منه[3]، قال السيد العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي: "ولها كلام ليزيد، وعبيدالله بن زياد، يدل على بلاغة، وعلم

---

(١) محمد تقي المدرسي، فاطمة قدوة الصديقين، ص٢٦.

(٢) الرضي، نهج البلاغة، خ٢٠٥، ص٣٩٩.

(٣) أبو طالب، الإفادة، ص٢٣، ٢٤.

وعقل، ورباطة جأش، وقوة جنان؛ ولا غرو فالثمرة من الشجرة"[١].

ثم ابنتها الثانية وهي السيدة أُمّ كلثوم سلام الله عليها، وقد ولدت بعد أختها بعام واحد وقيل: بعامين، "تزوَّجها عمر، وفي قصة العقد أخبارٌ متضارِبة؛ أما التزويج فقد وقع بلا ريب، وقد كان اعتذر أمير المؤمنين عليه السلام بصغرها وكبرِه، ثم رضي بعد ذلك قطعاً؛ وإن القول بعدم رضاه فيه من الغضاضة وانتهاك الحرمة، ونقص الدين والمروءة، أعظم وأطمّ من عدم الكفاءة المدّعاة"[٢]، وقد توفيت هي وولدها زيد بن عمر في وقت واحد[٣].

وأما ابنها الأخير فهو المحسِّن، ذكر الإمام أبو طالب أنه درج صغيرًا[٤].

---

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٠١.
(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٢٠.
(٣) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٢٢٠.
(٤) الإفادة، ص٢٢.

دورها الاجتماعي

لقد سجل القرآن الكريم صورة ناصعة لنموذج دورٍ واحد من أدوار فاطمة وأهل بيتها الاجتماعية، وهو يشير إلى جزءٍ من مهام هذه الزوجة العظيمة، والأم الكريمة، وثَّقَتْ ذلك سورة كاملة من القرآن الكريم، وهي سورة الإنسان، واللافت أن تحمل هذه السورة اسمَ الإنسان، الذي كان فضلا وكرما وإحسانا متشخِّصا في فاطمة وزوجها وأبنائها، وقد مر عليهم مستطعِما الإنسانُ الآخَر، الذي كان مرة مسكينا، وكان ثانية يتيما، وكان ثالثة أسيرا؛ ولأن المستطْعِم إنسان مهما كان موقفه، حتى لو كان أسيرا محاربا، فيجب أن يكون المطْعِمُ إنسانا أيضا، وهذه القيمة الإنسانية العظيمة، هي القيمة التي تحتاجها الأمة اليوم بعد أن عبِث الفكر الوهابي الداعشي بكثير منها، بل وعكَسها أتباعُ هذا الفكر في هذا الزمان بشكلٍ مشوَّه ومنفِّر من الإسلام، ومخالف لما كان عليه رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم.

إن هذا العدوان السعودي الأمريكي الإماراتي على اليمن بشقه التنفيذي المتمثِّل في المدعين للإسلام -مظهر من مظاهر افتقاد هؤلاء المعتدين لشيء من هذه القيمة الإنسانية الرائعة، وما يعملونه بأسرى الجيش واللجان الشعبية لدليلٌ قاطع على بعدهم عن تعاليم الله وسنن الصالحين من أهل البيت، وعلى

رأس الجميع فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

ثبَّتت الزهراء عناوين أخرى في أدوارها الاجتماعية، فلا بد أنها كانت تعلّم النساء ما يُشكِل عليهنّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية، إذ ورد في شرح ابن أبي الحديد أنه كان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها[1]، ويبدو أن بيتها كان مدرسة تقبِل عليها النساء طالباتٍ للعلم، فيجِدْن فاطمة العالمة وهي تستقبلهنّ بصدرٍ رحبٍ لا يعرف الملالة ولا السأم[2].

ولم تقتصر في تعليمها على النساء، بل كانت عليها السلام تطرِّف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة ، فعن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندك شيئاً تطرِّفينيه، فقالت: "يا جارية، هاتي تلك الحريرة"، فطلبتها فلم تجدها، وبعد البحث عنها وجدتها فإذا فيها : "قال محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ليسَ من المؤمنين من لم يأمنْ جارُه بوائقَه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخيّرَ الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السَّئآل المُلحِف. إنّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإن

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٩٣.
(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٧٦.

الفحش من البذاء، والبذاء في النار»[1].

ولم تنس الزهراء عليها السلام دورها الاجتماعي حتى في عبادتها، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولا تدعو لنفسها، متحلية بالخلق النبوي والأدب الإسلامي الرفيع.

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: "رأيت أُمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعْتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثِر الدعاءَ لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه ، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت : يا بني ، الجار ثمّ الدار"[2].

(١) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٧٧، نقلا عن مصادره، منها: المعجم الكبير، ودلائل الإمامة، وقطعة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في البخاري، ومسلم، ومصابيح السُنة للبغوي.

(٢) الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء، ص٨١ - ٨٢، نقلا عن الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ودلائل الإمامة.

دورها السياسي

كان للزهراء عليها السلام دور رائد في الدفاع عن قضايا الإسلام الكبرى، وتحرُّكٌ جادٌّ في مواجهة أول انحراف في الإسلام، وهو في الحكم، حيث صرخت بقوة ملفتة في وجه السلطة الجديدة، التي انحرفت بمسار الحكم عمن اختاره الله، وعمن أعلن ولايتَه رسولُ الله في أكثرَ من موقف، ولا سيما في حادثة الغدير الشهيرة، وفي هذا خطَبَت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة قوية وبليغة، أعادت فيها التذكيرَ بمشروع الإسلام، وتشريعاتِه، وطبيعة رسالة والدها، وولاية زوجها، وما كان عليه أصحاب رسول الله، ثم ما أصبحوا فيه، وتوحي فقرات الخطبة وشدة لهجتها أنها اعتبرت ذلك خطرا كبيرا يتهدد الإسلام.

ولم تكتف بذلك بل دارت في بيوت الأنصار تحرِّضهم على الثورة في نصرة الحق واتخاذ الموقف الصحيح، وكانت تعيب عليهم سكونهم ورضوخهم لسلطة الأمر الواقع، وما فتئت تحذِّر الجميع من مغبة السكوت عن هذا الانحراف، كما سيتبين ذلك من خلال خطبها.

فدك نحلتها من أبيها

سارعت السلطة الجديدة إلى توجيه ضربة سياسية واقتصادية لأهل البيت عليهم السلام لما أرسلت جنودها للاستيلاء على فدك، وهي القرية التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أنحلها لابنته فاطمة عليها السلام؛ الأمر الذي استدعى فاطمة أن تذهب إلى هذه السلطة للمطالبة بإطلاق حقها في فدك، وكادت أن تُلِينَ موقفَ أبي بكر الذي كتب لها وثيقة استرجاع لنحلتها لولا أن عمر رفض ذلك ومزَّق الوثيقة.

ولم تكَدْ تمر تلك القضية حتى وجَّهت تلك السلطة ضربة أخرى، وهي الاستيلاء على أموال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وخيبر؛ وكانت تلك الخطوات ذات مرامٍ وأغراض سياسية أكثر منها اقتصادية، تخدم الفكرة الرئيسة، وهي تقمصهم ولاية الأمر الموكولة إلى علي عليه السلام، لكنها كانت مغيظة لقلب فاطمة، وملأت قلبها غضبا؛ الأمر الذي دفعها لمقاطعتهم والتشنيع عليهم في مجالسها وخطبها، قال البخاري: "فهجرت فاطمة أبا بكر فلم تكلِّمه، حتى توفيت، ولأجل ذلك دفنها زوجُها عليٌّ ليلا، ولم يؤذِنْ بها أبا بكرٍ بحسب رغبتها"[1].

(١) البخاري، الصحيح، رقم٢٩٢٦، ١٩٩٨، ٢٩٩٦، ٣٥٠٨، ٣٩٩٨؛ والحوثي، المختار، ص٢٠٠.

ويرى أهلُ البيت أن أبا بكر أخطأ في ذلك[1]، وما أجمل كلام الإمام علي عليه السلام إذ قال: (بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوسُ قومٍ، وسخَت عنها نفوسُ قومٍ آخَرين، ونعم الحكم لله)[2].

(١) الحوثي، المختار، ص٢٥٢، نقلا عن الجامع الكافي.
(٢) الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٨٤.

خطبتها بشأن الإمامة وفدك
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تسمى هذه الخطبة بالخطبة الكبرى[1]، وهي التي ذكرت فيها الزهراءُ سلام الله عليها أمرَ فدكٍ وموقفَها من الخلافة ومن خذلان المهاجرين والأنصار لها.

تقول الرواية: لما بلغ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إجماعُ أبي بكر منْعَها فدكًا، لاثت خِمارها[2]، واشتملت بجِلبابها[3]، وأقبلت في لُمَةٍ[4] من حفدتها[5] ونساء قومها، تطأ ذيولها[6]، ما تخرُمُ مِشيَتُها مِشيةَ[7]

(١) هذه الرواية عن الخطبة مستخلَصة من الرواية التي رواها الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين (ت٦٧٠هـ) في كتابه (أنوار اليقين) عن طريق السيد الإمام يحيى بن الحسين بن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن عمته زينب بنت علي عليهم السلام، هذا وقد تم تحقيق نصِّها عن خمسِ مخطوطاتٍ مختلفة لـ(أنوار اليقين)، ثم تمَّ مقارنتها بما ورد لدى المصادر الأخرى مثل (بلاغات النساء) لابن طيفور البغدادي (ت٢٨٠هـ)، و(السقيفة وفدك) للجوهري (ت٣٢٣هـ)، و(نثر الدر) للآبي (ت٤٢١هـ)، و(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، وتم إضافة ما زاد في تلك المصادر الأخرى مما يفيد معاني جديدة.

(٢) أدارت خمارها على رأسها، والخمار: ما يستر به الإنسان رأسه أو أي عضو منه في أعالي جسده.

(٣) الجلباب: القميص، والثوب المشتمل على الجسد كله، والخمار، و ما يلبس فوق الثياب كالملحفة و الملاءة تشتمل بها المرأة.

(٤) لُمَة، على وزن ثُبَة: جماعة من الناس، ومنه اشتقاق الوليمة.

(٥) الحفدة، جمع حافد: العون والخادم وولد الولد، والمقصود هنا: أعوانها وخدمها.

(٦) كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي.

(٧) أي ما تنقص منها شيئا، حيث أشبهت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت[1] دونها مُلاءة[2]، ثم أنَّتْ أنَّةً أجهش[3] لها القوم بالبكاء، فأمهلت حتى سكَنَ نشيجُ[4] القوم، وهدأتْ فورتُهم[5].

ثم قالت صلوات الله عليها: "أبتدِئُ بحمدِ مَنْ هو أولى بالحمدِ والطَّول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكرُ بما ألهم، والثناءُ بما قدَّم، من عمومِ نعمٍ ابتدأها، وسبوغِ آلاءٍ أسداها[6]، وإحسانِ مِنَنٍ والاها[7]، جلَّ عن الإحصاءِ عددُها، ونأى عن المجازاة أمدُها[8]، وتفاوَت عن الإدراك أبدها[9]، واستثنى[10] الشكرَ بفضائلها، واستحمد إلى الخلق بإجزالها[11]، وثنَّى بالندب إلى أمثالها[12].

وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، كلمةً جعل الإخلاصَ

على وجهها وتمامها.

(١) أي عُلِّقَتْ.

(٢) المُلاءة: المَلحفة وما يُفْرَش على السرير.

(٣) أجهش الإنسان للبكاء، إذا تهيأ له، وجاشت نفسه لذلك.

(٤) النشيج: تردُّد البكاء في الصدر من غير انتحاب.

(٥) هيجانهم.

(٦) سبوغ الآلاء: اتساع النعم، وأسداها: أعطاها.

(٧) والاها: جعلها متتابعة.

(٨) النأي: البعد. والأمد: الغاية المنتهَى إليها. أي بعد عن المجازاة بالشكر غايتها.

(٩) تباعد عن الإدراك دهرها المتأبِّد.

١٠ كذا في المصادر، ولعلها تعني: طلب الثناء أو استحقاقه. وفي هامش (بلاغات النساء): استثنه: استحقه.

(١١) طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم.

(١٢) ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم على الآخرين.

تأويلَها، وضمَّن القلوبَ موصولَها، وأبان في الفِكَر معقولَها، الممتنع من الأبصار رؤيتُه، ومن الألسن صفتُه، ومن الأوهام الإحاطةُ به، الذي ابتدع الأشياءَ لا من شيءٍ كان قبلَه، وأنشأها بلا احتذاءٍ امتثله، وفطرها لغيرِ فائدةٍ زادَتْه، إلا إظهارًا لقدرته، ودلالةً على ربوبيته، وتعبُّدًا لبريته، وإعزازًا لأهل دعوتِه.

ثم جعل الثواب على طاعته حياشةً[1] لعباده إلى جنته، ووضَعَ العقاب على معصيته ذيادة[2] لعباده عن نقمته، وأشهد أن أبي محمدًا عبدُه ورسولُه، اختاره قبل أن يتنبَّأه[3]، واصطفاه قبل أن يبتعثه؛ إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة[4]، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله بعواقب الأمور، وإحاطة منه بحوادث الدهور، ومعرفة منه بعواقب المقدور، ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأممَ فِرَقاً في أديانها، عُكُفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، مُنكِرة لله بعد عرفانها، فأنار الله بأبي ظُلَمَها، وفرَّج عن القلوب بُهَمَها[5]، وجلَّى عن الأبصار غُمَمَها[6]، ثم قبضه الله عز وجل قبضَ رأفةٍ

(١) من حُشتَ الشيء: إذا حُزْتَه إلى حيثُ تَتَمَكَّنُ منه. وفي رواية: جياشة، أي حثا وإقبالا.

(٢) الذود والذيادة: السَّوق والطرد والدفع والإبعاد.

(٣) يجعله نبيا.

(٤) كانت مستورة عن الأهوال بسبب عدمها.

(٥) البُهمة: الظلمة الشديدة تطبق على القلب، وتقال للأمر الشديد إذا لم يُهْتَدَ لوجه الخلاص منه: بهمة.

(٦) جمع غمة، يقال للمِحنة المُطبِقة المُظْلِمَة: غُمَّة.

واختيار، ورغبة عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه عِبْءُ[1] الأوزار، محفوفًا بالملائكة الأبرار، ورضوانِ ربٍّ غفار، في جوار ملكٍ جبَّار، صلى الله عليه وعلى آله الطيِّبينَ الأخيار.

ثم أنتم عباد الله نَصْبُ أمرِه ونهيِه[2]، وحَمَلة دينِه ووحيِه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، لله فيكم عهدٌ قدَّمَه إليكم، وبقيَّةٌ استخلفها عليكم، ومعنا كتابُ الله بيِّنَةٌ بصائرُه، وآيٌ فينا[3] منكشفة سرائرُه، وبرهانٌ متجلِّيةٌ ظواهرُه، قائدٌ إلى الرضوانِ أتباعَه، مؤدٍّ إلى النجاة أشياعَه، فيه تبيانٌ لحجج الله المنوَّرة، ومواعظِه المُكرَّرة، ومحارِمه المحذّرة، وبيناته الجالية[4]، وجمله الكافية، ورخصه المرغوبة، وفضائله المندوبة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض اللهُ الإيمانَ تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا عن الكبر، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والزكاة تزييدا في الرزق، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسُّكًا للقلوب، وطاعتَنا نظامًا للملة، وإمامتَنا أمْنًا من الفُرقة، وحبَّنا عزًّا للإسلام، والصبرَ منجاة، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعرُّضًا للمغفرة، وتوفيةَ المكاييل والموازين تغييرا للبخسة، والنهيَ

---

(١) العبْء: الثقل.

(٢) أي نصبكم الله لأوامره ونواهيه.

(٣) تشير إلى ما نزل من آيات القرآن في أهل البيت عليهم السلام وحجيتهم.

(٤) المبيّنة.

عن شربِ الخمر تنزيهًا عن الرجس، وقذفِ[1] المحصنات اجتنابا للّعنة، وتركَ[2] السرقة إيجابا للعِفة، وحرَّم الله عز وجل الشركَ إخلاصًا له بالربوبية، وجعل صلةَ أرحامِنا زيادةً لعِدتكم، وطاعتَنا نظاماً لملحمتكم[3]، والائتمامَ بنا الأمانَ من فُرقتِكم.

فاتقوا الله عباد الله ﴿**حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران:١٠٢]، وأطيعوه فيما أمركم به، ونهاكم عنه، فـ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨]، واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي مَن في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلَتُه في خلقه، ونحن خاصّته، ومحلُّ قدسِه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه".

ثم قالت: "أما بعدُ: فأنا فاطمةُ، وأبي مُحَمَّدٌ رسولُ ربِّكم، وخاتَمُ أنبيائكم، أقولُها عَوداً على بَدْءٍ، وما أقول سَرَفاً ولا شَطَطًا، وما أنا من الكاذبين، فاسمعوا بأسماع واعية، وقلوب راعية، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[التوبة:١٢٨]، فإن تَعْزُوهُ[4] تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابنِ عمِّي دون رجالِكم، ولَنِعم المُعْتَزَى إليه، بَلَّغَ الرسالة، يدعو إلى سبيل ربه

---

(١) معطوف على شرب الخمر.

(٢) معطوف على (النهي عن شرب الخمر) منصوب مثله.

(٣) نظاما لاجتماعكم، والملحمة في غير هذا: اجتماع القوم للحرب.

(٤) تنسبوه.

بالحكمة والموعظة الحسنة، صادِعاً بالنَّذارة، مائلا عن مَدْرَجَة[١] المشركين، حائداً عن سَنَنِهم[٢]، ضارباً لثبَجِهم[٣]، آخذاً بأكظامهم[٤]، يجُذُّ الهام[٥]، وينكتُ[٦] الأصنام، حتى انهزم الجمع وولَّوا الدُّبُر، وأسفر الحقُّ[٧] عن محَضِه، وتفرّى[٨] الليلُ عن صُبْحِه، ونطقَ زعيمُ الدين، وخرست شقاشق[٩] الشياطين، وفُهْتُمْ[١٠] بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حُفرةٍ من النار، نُهْزَةَ[١١] الطامع، ومَذْقَةَ الشارب[١٢]، وقَبْسَةَ[١٣] العَجْلان، وموطئَ الأقدام[١٤]، تقتاتون القِدَّ[١٥]، وتشربون الطَّرَق[١٦]،

---

(١) المدرجة: المذهب والمسلك.

(٢) مائلا عن طريقتهم.

(٣) ثبَج الشيء: وسطه ومعظمه.

(٤) أي بمخرج أنفاسهم، يقال: أخذ بكظمه، إذا خنقه وضيَّق عليه نفَسه.

(٥) يقطع الرؤوس.

(٦) نكت الشيء: ألقاه على وجهه.

(٧) أضاء.

(٨) تشقق.

(٩) الشِّقشِقة: التي يُدلِّيها الفحل المغتلم من الإبل إذا هاج وهدر فيها.

(١٠) فُهْتُم وتفوَّهْتُم بمعنى واحد.

(١١) أي فرصة الطامع.

(١٢) أي شربته.

(١٣) القبسة: ما تقبضه بيدك.

(١٤) أي في مكان الذلة. وتريد من هذه العبارات الأخيرة أنهم كانوا ضعافا مهانين يتخطفهم الناس.

(١٥) القِدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ من جِلدٍ غير مدبوغ.

(١٦) الطرق: الماء الذي خاضته الإبل، وبالت فيه.

وأنتم أذلة خاشعون[١]، تخافون أن يتخطَّفكم الناسُ من حولِكم.

فأنقذكم الله بأبي، بعد اللتيا والتي[٢]، وبعدما مُنِيَ بِبُهَم[٣] الرِّجال، وذؤبان العرب، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب، كلما حشُّوا[٤] نارا للحرب، ونجَم[٥] قرنٌ للضلالة، وفَغَرَتْ[٦] فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ[٧] حتى يطأ صِماخَها بأخمُصِه[٨]، ويُخْمِد لهبها بحدِّه، مكدودٌ في ذات الله تعالى[٩]، قريبٌ من رسول الله، سيد في أولياء الله، وأنتم في رفاهية آمنون وادعون، تَوكَّفون[١٠] الأخبار، وتنكُصُون عند النزال[١١].

فلما اختار اللهُ جلَّ وعزَّ لرسوله دار أنبيائه، وما عنده لرسله، ظهرت

---

(١) الخشوع: أشد الخضوع.

(٢) المراد الحادثة والحويدثة، كأنهما أمران عظيمان، أحدهما أعظم من الآخر.

(٣) مني: ابتُلِيَ. والبُهمة: الفارس البطل الشجاع لا يُهتَدى لوجه التمكُّن منه، ويقال: هو الذي يعد بمئتي فارس.

(٤) من حشَشْتُ النار إذا أوقدتها، وأصل الحش أن يجمع الوقود من الأطراف إلى الوسط، ومتفرق النار إلى المعظم، ليشتد توقدها، وكل مجموع فمحشوش.

(٥) طلع.

(٦) فغر: فتح، وفغرت الأسد أفواهها إذا فتحتها.

(٧) أي فلا ينصرف.

(٨) الصِّماخ: ثقب الأُذن، والأُذن نفسُها. والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، والعبارة تعني القهر والغلبة على أبلغ وجه.

(٩) المكدود: من بلغه التعب والأذى. وذاتُ الله: أمره ودينه.

(١٠) تنتظرون.

(١١) أي تهربون عند الحرب.

حسكة[1] النفاق، وسمل[2] جلبابُ الإسلام، واخلولق ثوبُه، وقحل[3] عظمه، وارتثَّ[4] رميمه، وظهر نابغ[5]، ونطق كاظم، ونبغ خامل الآفكين، وهدَرَ فنيقُ[6] المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأَطْلَع الشيطانُ رأسَه من مصرعه صارخاً بكم، فألفاكم لدعائه مستجيبين، ولغروره ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأَحْمَسَكم[7] فوجدكم غضَابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم شراباً ليس لكم[8]، بدارَ - زعمتم - خوف الفتنة، ﴿**أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[التوبة:٤٩]، هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب[9]، والجرح لَمَّا يندمل، والرسول لَمَّا يُقْبَر، فهيهات منكم؟ وكيف بكم؟ وأنى تؤفكون؟ وكتابُ الله بين أظهركم، زواجرُه ظاهرة، وأوامره لائحة، ودلائله واضحة، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ فـ﴿**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾[الكهف:٥٠]، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ**

---

(١) الحقد.

(٢) سمل الثوب: إذا خلِق، وصار باليا.

(٣) يبس.

(٤) جُرِح وارتُثَّ: إذا بَقِيَ فيه رمقٌ من حياة.

(٥) خامل لا يؤبَه له.

(٦) الفنيق: الفحل من الإبل.

(٧) أي أغضبكم. وفي رواية: وأحمشكم: حثَّكم.

(٨) الوَسْمُ: أثر الكيّ. والورود: حضور الماء للشرب، والإيراد: الإحضار. والشِّرب: الحظُّ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الإمامة وميراث النبوة.

(٩) الكلم: الجراح. والرحيب: الواسع.

الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

ثم لم تلبثوا إلا ريثَ أن تسكنَ نفْرتُها، ويُسلس قيادُها[(١)]، تُسِرون حسْوًا في ارتغاء[(٢)]، ونصبرُ منكم على مثلِ حزِّ المُدى[(٣)]، حتى زعمتم أن لا إرث لنا أهلَ البيت، أفعلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم تركتم كتابَ الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**[النمل:١٦]، وقال الله عز وجل فيما قصَّ من خبر يحيى بن زكريا: **﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾**[مريم:٥-٦]، وقال عز ذكره: **﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾**[الأحزاب:٦]، وقال: **﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾**[النساء:١١]، وقال: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**[البقرة:١٨٠]، وزعمتم أن لا حق ولا إرث لي من أبي، ولا رحِم بيننا، أفخصَّكم الله بآيةٍ أخرج نبيه صلى الله عليه وآله منها؟ أم تقولون: (أهلُ ملتين لا يتوارثون)؟، أو لستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!، لعلكم أعلمُ بخصوص القرآن وعمومه من النبي

---

(١) نفْرة الدابة: ذهابها وعدم انقيادها. والسلِسُ: السهل اللين المنقاد. أي: لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة، وهي موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) الحَسْو: الشُّرب شيئا فشيئا، والارتغاء: شرب الرغوة، وهي ما يطفو فوق اللبن من الماء المشوب به، والمثل يُضرَب لمن يُظهرُ شيئا ويريد غيره.

(٣) الحز: القطع، والمُدَى جمع مُدية، وهي السكِّين.

صلى الله عليه وآله وسلم؟!، أفحكمَ الجاهلية تبغون، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[المائدة:٥٠].

سرعانَ ما أحدثتم، وعجلان ما نكَصتُم، وعجلان ذا إهالة[1]، تقولون: مات رسولُ الله، ألَئِن مات رسولُ الله أمَتُّمْ دينَه؟!، ها إن موته لخَطْبٌ - واللهِ - جليل، استوسع وهيُه[2]، واستنْهَر[3] فتقُه، وفُقِد راتقُه[4]، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدَتِ الآمال[5]، وأُكِلَتْ الأموال، وأُضِيع الحريم[6]، وأُزِيلَت الحُرْمَة[7] عند مماته، فتلك نازلة[8] أعلن بها كتابُ الله في أفنيتكم، ممساكم ومصبحكم، هتافاً هتافا بأسماعكم، ولقبله ما حلَّت بأنبياء الله ورسله، ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[آل عمران:١٤٤].

---

(١) الإهالة: الودَك إذا أذيب، يُضْرَبُ مثلا للشيء يُعجَّل قبل أوانه، أي نكثتم بسرعة وعجلة.
(٢) الوهي: الخرق الواسع.
(٣) استنهر: استوسع.
(٤) الفتق: الشق، والرتق ضده.
(٥) أي قلَّ خيرها.
(٦) حريم الرجل: ما يحميه ويقاتل عنه.
(٧) الحرمة: ما لا يحق انتهاكه.
(٨) النازلة: الشديدة.

ويهاً[١] معشَرَ المهاجرين، أَأُبْتَزُّ[٢] إرثيَهْ؟! أبالله حقٌّ أن ترِثَ أباك يا ابنَ أبي قحافة، ولا أرثُ أبِيَهْ؟![٣] لقد جئتَ شيئاً فريا[٤]، فدونَكَها مخطومةً مرحولة[٥]، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والموعد القيامة، والزعيم محمد، وعما قليل تنكفئون، وعند الساعة يخسر المبطلون، و﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[الأنعام: ٦٧]".

ثم التفتت صلوات الله عليها إلى الأنصار فقالت: "يا معشرَ النقباءِ، وأعضادَ المِلَّة، وحَصَنة[٦] الإسلام، ما هذه الفَتْرَة عن نصرتي، والوِنْيَة[٧] عن معونتي، والغميزة[٨] في حقي؟! والسِّنَةُ[٩] في ظُلامتي؟! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (المرءُ يُحفَظُ في ولده)؟!.

أيهًا بني قَيلة[١٠] أَأُهْضَمُ تراثَ أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغُكُم

(١) إذا أغريتَ أحدا بشيءٍ قلتَ: ويها يا فلان، وهو تحريض، وربما أريد به التعجب.

(٢) أأُستَلَب.

(٣) الهاء في (إرثيه) و(أبيه) للسَّكْتِ، مثل (ماليه وسلطانيه) في القرآن الكريم.

(٤) الفري: الأمر المختلق.

(٥) الضمير في (فدونكها) يعود لفدك، أي: خذها، ومخطومة من الخطام، وهو: كل ما يوضع في أنف البعير ليُقاد به، والرَّحْل للناقة كالسرج للفرس. والأمر بأخذها هنا للتهديد.

(٦) أي الذين تحصّن بهم الإسلام، وفي رواية: (حصون الإسلام)، وفي رواية أخرى: (حضَنَة الإسلام)، وهم الذين يحتضنون الإسلام ويحمونه.

(٧) ونى في العمل: فتر وضعف وكَلَّ وأعيا.

(٨) الغميزة: ضَعْفة في العمل، وجَهْلة في العقل.

(٩) السنة: أول النوم أوالنوم الخفيف.

(١٠) أيهاً: بمعنى هيهات. وبنو قيلة: الأوس والخزرج. وقيلة بنت كاهل: اسم أم لهم قديمة.

الدعوة، ويشملُكُمُ الصوت، وفيكم العدة والعتاد، ولكم الدار، وعندكم الجُنَن، وأنتم الأُلى نخبةُ الله التي انتخب لدينه، وأنصارُ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهلُ الإسلام، وخيرةُ الله التي انتجب لنا أهلَ البيت، نابذتم العرب، وناهزتم[1] العجم، وكافحتم[2] البُهَم، لا نَبْرَح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى استقامت لكم بنا الدار، واستدارت لكم بنا محالة[3] الإسلام، وخضعَتْ ثُغرة الشرك، وسكنَتْ فورةُ الإفك، وخمدت نيران الكفر، واستوسق[4] نظام الدين، ودرَّ حَلَبُ البلاد، وسكنتْ نفْرَةُ الشيطان، وهدأت وغرة الهرج[5]، فأنى حِرْتُم بعد البيان؟! وأسررتم بعد الإعلان؟! ونكصتُم بعد الإقدام؟! عن قوم ﴿**نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ**﴾[التوبة: ١٢]، ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[التوبة:١٣].

ألا قد أرى والله أن قد أخلَدْتُّم إلى الخفض[6]، وأبعدْتُّم مَنْ هو أحقُّ بالبسط والقبض، وحلِيتُم الدعة[7]، ونجوتم من الضيق بالسعة،

(١) تقول: نهزت الرمح ونهزت به إذا نخسته، ونهز المستقي دلوه وبدلوه في البئر إذا حركها لتمتلىء.

(٢) المكافحة: هي المواجهة بالقتال وغيره.

(٣) المَحالَةُ: البَكَرَةُ العظيمةُ التي تستقي بها الإبلُ. استُعيرت للإسلام، وكأن له بَكَرة تدور، تعبيرا عن صلاح أموره، واستقامتها.

(٤) استوسق الشيء: اجتمع وانضم بعضه إلى بعض.

(٥) الوغرة: الوقدة، والهرج: الفتنة والقتل.

(٦) أخلد إليه: ركن ومال. والخَفض: سعة العيش.

(٧) الراحة.

فعُجْتُم[1] عن الدين، ومَجَجْتُم[2] الذي وعيتم، ودسعتم الذي تسوَّغتم[3]، و﴿إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[إبراهيم:٨].

ألا وقد قلتُ الذي قلت، على معرفة مني بالخذْلة التي خامرَتْكم[4]، والغَدْرة التي استشعرَتْها قلوبُكم، وخور القناة[5]، وضعف اليقين، ولكنها فيضة النفس[6]، ونفثة[7] الغيظ، وبثّة[8] الصدر، ومعذِرة الحجة، فدونكموها[9] فاحتقبوها[10] مُدبِرةَ الظهر[11]، ناكبة الحق[12]، ناقبة الخف[13]، باقية العار، موسومة[14] بشنار[15] الأبد، موصولة بنَار اللهِّ

---

(١) عاج عن الأمر: انصرف عنه.

(٢) مجَّ الشرابَ من فيه: رمى به.

(٣) الدسع: القيء والدفع. وتسوَّغ الشيء: شربه بسهولة.

(٤) الخذلة: ترك النصر. وخامَرَتكم: خالَطَتكم.

(٥) الخور: الضعف. والقناة: صعدة الرمح. والمراد: ضعف النفس عن الصبر على الشدة.

(٦) المراد إظهار ما كان في النفس مكتوما.

(٧) النفثة: النفخة.

(٨) البث: النشر والإظهار، والهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه.

(٩) أي فخذوها، والضمير يرجع للأشياء التي هي من حق فاطمة وزوجها علي عليهما السلام، كالإمامة، والإرث، والنحلة.

(١٠) احتقب الإثم: جمعه.

(١١) من الإدبار، وهو ضد الإقبال.

(١٢) من نكبه: إذا نحَّاه وأبعده.

(١٣) النَّقَب: رقة خف البعير.

(١٤) أي مُعْلَمَة بسمة أو علامة.

(١٥) الشنار: العيب والعار.

الْمُوقَدَة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[الهمزة: ٦-٧]، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧]، وأنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ . وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[هود: ١٢١- ١٢٢]".

ثم عطفت على قبر أبيها صلى الله عليه وآله، فخنَقَتْها العَبْرَة، فتمثَّلَتْ بقول عمتها صفية بنت عبد المطلب:

"قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثةٌ[1] لو كنتَ شاهدْتَها لم تكثُرِ الخُطبُ

إنا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها واختلَّ قومُك فاشهدْهم فقدْ نكِبُوا

أبدت رجالٌ لنا نجوى صدورِهمُ لما قضيْتَ وحالت دونك الكتُبُ

وكان جبريلُ بالآيات يُؤنِسُنا فغِبْتَ عنا فكلُّ الخيرِ محتَجِبُ

وكنتَ نورًا وبدْرًا يُسْتَضاءُ به عليك تنزِلُ من ذي العزة الكتبُ

تهضَّمَتْنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا مذْ غِبْتَ عنا فنحن اليوم نُغْتَصَبُ

وقد رُزِئنا الذي لم يُرْزَه أحدٌ من البرية لا عُجمٌ ولا عَربُ

فسوف نبكيكَ ما عشنا وما بقِيتْ من العيون بتَهْتَانٍ همى سَرِبُ[2]"

ويُرْوَى أنها وقفت على قبر أبيها فجلَّلَتْه بردائها، ثم تناولتْ حفنة من

---

(١) الهنبثة واحدة الهنابث، وهي: الأمورُ الشداد المختلفة.

(٢) التهتان: مطر يفتر ثم يعود. وهمى: سال. وسرب الماءُ: سال، فهو سَرِبُ، ورفعه على القطع، وأنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو سرب، وفي رواية: بتهمالٍ له سُكُبُ.

تربة القبر فشمَّته، وهي تقول قبل هذه الأبيات المتقدِّمة:

"ماذا على مَن شَمَّ تُرْبَةَ أحمدٍ أن لا يَشُمَّ مدا الزمان غواليا[1]

صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنّها صُبَّتْ على الأيامِ عُدْنَ لياليا"

فلم يُرَ بعد اليوم الذي قُبِض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثرَ باكياً ولا باكية من ذلك اليوم الذي خطَبَتْ فيه الزهراء هذه الخطبة، وارتجَّت المدينة، وصاح الناس، وارتفعتِ الأصواتُ من دور بني عبد المطلب، وبعضِ دورِ المهاجرين والأنصار، وجاء العباسُ بنُ عبدِ المطلب فأخذ بيدها، وردَّها إلى منزلها.

(١) الغوالي، جمع غالية، وهي: أخلاط من الطِّيب كالمسك والعنبر.

خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار في مرض موتها[(١)]

لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوجع، وثقلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار، فقُلْن لها: كيف أصبحتِ من علتك يا ابنة رسول الله؟ قالت: "أصبحْتُ واللهِ عائفةً[(٢)] لدنياكم، قالية[(٣)] لرجالكم، لفظْتُهم بعد أن عجَمْتُهم[(٤)]، وشنِئتُهم بعد أن سَبَرْتُهم[(٥)]، فقبحاً لفُلول الحد[(٦)]، وخَوَر القناة[(٧)]، وخَطَل الرأي[(٨)]، ﴿**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾[المائدة:٨٠]. لا جرم[(٩)]

---

(١) نص هذه الخطبة مأخوذ من بلاغات النساء لابن طيفور (ت٢٨٠هـ)، ص٢٣ - ٢٥؛ والسقيفة وفدك للجوهري (ت٣٢٣هـ)، ص١١٧ - ١١٨؛ ونثر الدر للآبي (ت٤٢١هـ)، ج٤، ص٨ - ٩؛ والشافي للإمام عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ)، ج١، ص٥٤٥؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، ج١٦، ص٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) كارهة.

(٣) مبغضة.

(٤) العجْمُ: هو العض، يقال: عجمْتَ العودَ إذا عضَضْتَه، تنظرُ أصلبٌ هو أم رخو. والمعنى: نبذتُهم بعد أن جرّبْتُهم.

(٥) أبغضتُهم بعد أن اختبرتُهم.

(٦) تثلُّمه.

(٧) ضعفُها أو كسرُها. في بلاغات النساء: القنا.

(٨) فساده.

(٩) أصله بمعنى لا بد، أو لا محالة، فكثر استعماله، حتى تحول إلى معنى القسم.

لقد قلَّدَتْهُم رِبقَتَها(1)، وشنّت(2) عليهم غارتها(3)، فجَدْعًا وعقرًا(4) وبُعدًا(5) للقوم الظالمين.

ويحَهم أنَّى(6) زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبِن(7) بأمور الدنيا والدين؟!!(8)، ﴿**أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[الزمر:15].

وما الذي نقموا(9) من أبي الحسن؟! نقموا والله منه نكيرَ(10) سيفه، وشدةَ وطأتِه، ونكالَ وقعتِه، وتنمُّرَه في ذات الله(11)، وتالله(12) لو تكافُّوا(13) عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(1) أي مسؤوليتها، والضمير عائد إلى الولاية.
(2) صبّت.
(3) في بلاغات النساء: وشنت عليهم عارها.
(4) الجدع: قطع الأنف، والعقر: ضرب قوائم البعير بالسيف ونحوه، والجملة دعاء على من اغتصب ولاية الأمر.
(5) في السقيفة وفدك، وفي شرح نهج البلاغة: وسحقا للقوم..إلخ.
(6) في السقيفة وفدك، وفي نثر الدر، وفي شرح نهج البلاغة: أين زحزحوها. وفي الشافي: ويلهم لقد زحزحوها.
(7) الطبِنُ: الخبير. وفي السقيفة وفدك، وفي شرح نهج البلاغة: والطيبين بأمر الدنيا والدين. وفي الشافي: والطيبين لأهل الدنيا والدين.
(8) تريد كيف زحزحوا ولاية الأمر عن الإمام علي عليه السلام، وهو الخبير بأمور الدنيا والدين.
(9) في الشافي: وما نقموا من أبي حسن.
(10) شديد.
(11) أي غضبه لله.
(12) في بلاغات النساء: ويا لله.
(13) أي لو كف بعضهم بعضا عن أخذ هذا الزمام (الولاية) الذي أعطاه له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لاعتقله[1]، ولسار بهم سيراً سجحاً[2]، لا يُكْلَم خِشاشُه[3]، ولا يُتَعْتَعُ[4] راكبُه، ولأوردهم منهلاً روياً فضفاضاً[5] تطفح ضفتاه[6]، ولأصدرهم بطاناً[7] قد تحرى بهم الري[8]، غير متحلٍّ منهم بطائل بعملِه الباهر، وردعِه سَورة الساغب[9]، ولفُتِحَتْ عليهم بركاتٌ من السماء (والأرض

---

(١) أي وضعه بين ركابه وساقه كما يعتقل الرمح.

(٢) سهلًا. وفي السقيفة وفدك، بلفظ: (لاعتلقه)، و(سيرا سمجا). وفي شرح نهج البلاغة: لاعتلقه. وفي بلاغات النساء: لو تكافأوا..الخ.

(٣) لا يجرح جانبه، والخشاش عود يجعل في أنف البعير يشد به الزمام، وهو مشتق من خش في الشيء إذا دخل فيه، لأنه يدخل في أنف البعير، ومنه الحديث: «خشوا بين كلامكم لا إله إلا الله»، أي: أدخلوا، وفي الشافي: لا تنكلِم خشاشته. وفي السقيفة وفدك، وشرح نهج البلاغة: لا تكلم حشاشته.

(٤) أي من غير أن يصيبه أذى، ومنه الحديث: (يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع). وفي الشافي: ولا يتتعتع.

(٥) يفيض منه الماء.

(٦) في الشافي: ولأوردهم موردا نميرا تمير ضفتاه. وفي السقيفة وفدك، وفي شرح نهج البلاغة: منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه.

(٧) شبعانين.

(٨) في نثر الدر: قد تحيز بهم الري. وفي الشافي: قد تحبَّرهم الري. وفي السقيفة وفدك، وشرح نهج البلاغة: قد تحير بهم الرأي، ولعلها: تخير.

(٩) سورة الساغب: حِدَّةُ الجائع. وفي الشافي: غير متحلي منه بطائل، إلا بغمزة الناهز، وردعة سورة الساغب. وفي هامشه: غمرة الناهز: الغمرة الماء الكثير كالغمير، والناهز: الضارب بالدلو في الماء ليمتلئ، وردعة سورة الساغب: الردع المنع، والسورة: الحدة، والساغب: الجائع. وفي السقيفة وفدك: غير متحل بطائل، إلا بغمر الناهل، وروعة سورة الساغب. وفي نثر الدر: غير مستحل منه بطائل، إلا بغمر الناهل، أو دعة سورة الساغب. وفي شرح نهج البلاغة: إلا بغمر الناهل، وردعه سورة الساغب.

ولكن كذبوا)[1]، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا هلمَّنَّ[2] فاسمعْنَ، وما عشتِنَّ أراكنَّ الدهرُ عجباً، إلى أي لجَأٍ لجأوا وأسندوا[3]؟! وبأي عروة[4] تمسَّكوا؟! و﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[الحج: ١٣]، ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[الكهف:٥٠][5]، استبدلوا والله الذُّنابَى بالقوادِمِ، والعجُزَ بالكاهل[6]، فرغماً لمعاطس قوم[7] ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[الكهف:١٠٤]، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٢]، ويحَهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس:٣٥]، أما لعمرُ إلهِكُنَّ[8] لقد

---

(١) زيادة في الشافي، وتتمته في الشافي: فأخذناهم بما كانوا يكسبون. وفي السقيفة وفدك: من السماء والأرض، وسيأخذهم الله .. إلخ.

(٢) في الشافي: ألا هلمُمّن. وفي السقيفة وفدك، وشرح نهج البلاغة: ألا هلمَّ فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجبه، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث .. إلخ، وفي نثر الدر: وما عشت أراك الدهر عجبا، وإن تعجب فعجب لحادث ..إلخ.

(٣) في نثر الدر: استندوا. وفي الشافي: إلى أي ركن لجأوا. وفي السقيفة وفدك: إلى أي لجأٍ لجأوا. وفي شرح نهج البلاغة: إلى أي لجأٍ استندوا.

(٤) عروة الدلو: مقبضُه.

(٥) هذه الآية زيادة في الشافي والسقيفة وفدك.

(٦) الذنابى: الذنب، والقوادم: ريش في مقدم الجناح، والعجُز مؤخَّر الشيء، والكاهل مقدَّم الظهر. وأذناب الناس أتباعهم وسفلتهم، والمراد أنهم استبدلوا الذي هو أدنى، وهو أبو بكر، بالذي هو خير، وهو الإمام علي عليه السلام.

(٧) أي ذلا لأنوفهم، مجاز عن ذل أنفسهم، وهو دعاء عليهم بذلك. وفي الشافي: وبعدا وسحقا لقوم يحسبون .. إلخ.

(٨) في نثر الدر: لعمر إلهك، والمعنى: وحقِّ بقائه تعالى. وفي السقيفة وفدك: أما لعمري.

لقحت[١]، فنظِرة[٢] ريثما تُنتِج[٣]، ثم احتلِبوها[٤] طلاعَ القَعْبِ[٥] دماً عبيطاً[٦]، وذعافاً ممقراً[٧]، هنالك يخسر المبطلون، ويَعْرِفُ التالون غِبَّ[٨] ما أسَّس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، وطامنوا للفتنة جأشاً[٩]، وأبشِروا بسيفٍ صارم، وبقَرْحٍ[١٠] شامل، واستبداد من الظالمين، يَدَعُ فيئكم زهيداً[١١]، وجمعَكم حصيداً، فيا حسرةً لكم، وأنّى بكم وقد عُمِّيَتْ عليكم؟! ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[هود: ٢٨][١٢]، ثم أمسَكَتْ عليها السلام.

---

(١) حبِلَتْ.

(٢) النظرة: التأخير في الأمر.

(٣) تلد.

(٤) هكذا في شرح نهج البلاغة. وفي السقيفة وفدك: ثم احتلموها طلاع العقب دما عبيكا، ولعله حدث تصحيف أو تحريف في كل من (احتلموها – العقب – عبيكا). وفي بقية المصادر: ثم احتلبوا.

(٥) القعب: وعاء ضخم، والمعنى ملؤه.

(٦) طريا.

(٧) يقال: سم ذعاف، أي معجّل إلى الموت، والمُمْقِر: المر.

(٨) عاقبة.

(٩) طامنوا: خفِّضوا. والجأش: القلب والجنان. وفي شرح نهج البلاغة: واطمئنوا.

(١٠) القرح: الدمل، كناية عن فساد الأمور. وفي نثر الدر، وشرح نهج البلاغة: وبهرج شامل، والهرج: القتال والاختلاط، وأصل الهرج: الكثرة والاتساع. وفي السقيفة وفدك: وخرج شامل.

(١١) الفيء: المال. والزهيد: القليل.

(١٢) في السقيفة وفدك، وفي شرح نهج البلاغة بعد الآية: والحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين.

وفاتها وقبرها

بعد أن اتخذت تلك المواقف القوية ضد السلطة الجديدة، هاجَمها المرض، وآن أن يتحقق ما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أنها أول اللاحقين به، وكانت قد عافت الدنيا أولا لموت أبيها، ثم لحصولِ الانحرافات الخطيرة في حق الإسلام، ولهذا اشتدت بها العلة، ولحقت برسول الله بعد ستة أشهر، وعن الباقر: قال أربعة أشهر، وقيل أقل من ذلك، أو أكثر[1].

في مرضها كانت قد توصَّلت مع أسماء بنت عميس إلى ابتداع فكرة النعش، ولما جُهِّز لها ابتسمت، فكانت أول من صُنِع لها نعشٌ في الإسلام، وأوصت أسماء إذا ماتت أن تغسلها مع علي عليه السلام[2]، كما أوصت أن تُدفن سرا، ولا يؤذَن بها أبوبكر وعمر[3]، وبعد أن صلى عليها الإمام علي عليه السلام وخاصته، وكبر خمس تكبيرات، دفنها ليلا[4].

---

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٣١ - ٣٢.

(٢) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٣٢؛ والعجري، إعلام الأعلام، ص٣٥١؛ وابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ١٨٩٧.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم٢٩٢٦، ١٩٩٨، ٢٩٩٦، ٣٥٠٨، ٣٩٩٨؛ والعجري، المختار، ص٢٠٠.

(٤) أحمد بن عيسى، علوم آل محمد، ج١، ص٤٤٠.

دُفنت سلام الله عليها بالبقيع ليلاً، بوصية منها، ورش قبرُها وقبور استُحدِثت حوله[1]، وقبرها في البقيع في مقبرة أهل البيت عليهم السلام، حيث دُفِن بجوارها سبطها الحسن عليه السلام، وآخرون من ذريتها.

ولما ماتت سلام الله عليها، دخل علي عليه السلام قبرَها، وهو يقول:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقاديَ فاطما بعد أحمدٍ ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل[2]

وعن جابر بن عبدالله، قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاثٍ، وهو يقول لعلي: (سلام الله عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتيَّ من الدنيا، فعن قليلٍ ينهدُّ ركناك، والله خليفتي عليك)، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال علي: هذا أحدُ ركنيَّ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

وهذه الرواية تبين مقدار الفاجعة التي تلقاها الإمام علي عليه السلام بفقده هذين الركنين، كما تبيِّن مقدار الفراغ الذي تركته فاطمة الزهراء في حياته سلام الله عليهما، ومدى قوة العلاقة بينهما.

ومع ذلك فقد كان سلام الله عليه يزور قبرها في كل أسبوع

(١) المؤيدي، لوامع الأنوار، ج٣، ص٣٢.
(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح، ص٢٧٠.
(٣) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٨.

مرة، وينشد:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحِمام أصابكم عتِبْتُ ولكن ما على الموت مُعتبُ [1]

وهكذا طوى الموتُ سيدةَ نساء العالمين، وذهبت إلى بارئها ليبقى نموذجها حيا خالدا في نسائنا المجاهدات العالمات اللائي يواجهن الحياة بكل قوة وتحدٍّ وشموخ مهما تكالبت عليهن الأحداث، واشتدت الأزمات.

(١) أبو طالب، تيسير المطالب، ص١٣٨.

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ



"تلك المرأة الزكية المؤمنة المرضية الصِّدِّيقة التي وصلت إلى ذروة الكمال الإيماني والإنساني، وتحركت من واقع الحياة تقوم بمهماتها الفطرية من دون كلل ولا ملل ولا عتب ولا تنصُّلٍ عن المسؤولية، وعلى درجةٍ عاليةٍ ومستوىً عظيمٍ من التواضع، تقدِّم الدرسَ المهم للمرأة المؤمنة، كيف تكون في واقع الحياة، في إطار مسؤولياتها المتعدِّدة وفي مواجهة أعباء الحياة، في كل الاتجاهات والمجالات على المستوى الإيماني والعبادي التي كانت هي، التي سميت بالبتول منقطعة إلى الله سبحانه وتعالى، متبتِّلة منقطِعة إلى الله عابدة متوجِّهة بصدق إلى الله سبحانه وتعالى، لكنها لم تكن بذلك منعزلة عن الحياة، في واقع الحياة، في طبيعة الحياة، في ظروف الحياة ، لا ! بل امرأة تعيش مع زوجها مع أسرتها الواقع الحياتي المعتاد، ثم هي على ما هي عليه من علمٍ ومعرفةٍ وزكاءٍ وطهارةٍ وتقوى، تلك المرأة الخدومة المحسنة التي تحسن إلى الآخرين، وتهتم بالآخرين، مصدر عطاء، وينبوع خير، وينبوع إحسان، هكذا يريد الله للمرأة المؤمنة أن تكون مصدرا للعطاء والخير والإحسان، وهكذا كانت فاطمة القدوة، هكذا كانت فاطمة القدوة، والمرأة المؤمنة بحاجة إلى القدوة، وأن ترسِّخَ في واقعها القدوة.

كلمة السيد القائد عبدالملك بدر الدين الحوثي

اليوم العالمي للمرأة المسلمة ١٤٣٥هـ

اليوم العالمي للمرأة المسلمة

20 جمادى الآخرة

« تلك المشاركة التي تقوم بها المرأة في الريف هي من تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي من توفِّر على أسرتها كثيرا من الأشياء التي يحتاج رب الأسرة إلى دفع فلوس كثيرة في توفيرها، هي تربي الأبقار، وتربِّي الأغنام، هي توفِّر الحطب، هي توفِّر الماء، هي تَعملُ جاهدةً في المجال الزراعي .. أليست هذه هي المشاركة الحقيقية في التنمية؟. مشاركة تجعل الأسرة كلها تتحمل جميعا أعباء الحياة، .. هذه لم يعترفوا بأنها مشاركة بل يصنِّفونها بأنها ظلم، وأنها امتهان للمرأة. من أين جاء هذا التقييم؟. من أين جاء؟.»

الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي

رضوان الله عليه

